الجامعة الإسلامية-غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



منهج الإمام القرطبي في الرد على المعتزلة

إعداد الطالب:
حمد حسن علي النجار

إشراف
أ.د: جابر زايد عيد السميري

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة.

1435هـ - 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾

[آل عمران: ٢٠٠]

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى :

* نور عيني، ومهجة قلبي، إلى: أمي وأبي الغاليين.

* أخي، وأخواتي، وزوجتي، وأبنائي، وعائلتي .

* الذين أسرجوا بدمائهم قناديل المساجد والمقدسات ، شهداء الأمة ، وأسراها البواسل.

* كلية أصول الدين ، و قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

* أساتذتي الأفاضل، ومن له فضل عليَّ.

* فضيلة الدكتور يوسف جمعة سلامه .

* رفاق دربي، وأصحابي .

* طلبة الجامعة الإسلامية، ومحبي العلم.

* كل من علمني، وأخذ بيدي، وسار معي على طريق الدعوة إلى الله عز وجل .

* إخوتي: عبدالله النجار، حيدر البحيري، إسماعيل الأغا ، محمد عبدالغفور، عبدالله الأغا ، محمد مسمح، أحمد عابد، محمود نصر .

* زملائي في الإدارة العامة للتحفيظ، الدكتور/ ماجد سكر، الأستاذ/ عبد الفتاح حمودة .

إليهم جميعًا أهدي هذا البحث

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا، وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

انطلاقًا من قول الله ﷻ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، كان واجبًا عليَّ أن أشكر الله ﷻ على إتمام نعمة إتمام البحث، فالشكر أولًا وأخيرًا له ﷻ، قال تعالى: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٥]، فله الحمد والمنة على فضله وإحسانه، ثم الشكر لوالديَّ العزيزين، اللَّذيْن أولياني الرعاية الخاصة، منذ طفولتي، وحتى يومنا هذا.

وانطلاقًا من قول ربنا الكريم ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، فإنني أقدم شكري، وامتناني، إلى جامعتي: الجامعة الإسلامية، ممثلة بالقائمين عليها، والعاملين فيها، فبارك الله فيهم جميعًا.

وأخص بالشكر: كليتي الغراء: كلية أصول الدين، والعاملين فيها أكاديميين، وإداريين، وفي مقدمتهم عميدها المُوقر: فضيلة الدكتور: عماد الدين عبدالله الشنطي "حفظه الله ورعاه". والشكر موصول إلى المربي الفاضل، فضيلة الأستاذ الدكتور: جابر زايد السميري، الذي تفضل عليَّ بالإشراف على الرسالة، ووجهني فيها خير توجيه.

والشكر موصولاً كذلك إلي الأخوين الكريمين اللذين تفضلا بمناقشة الرسالة وتقويمها؛ من أجل الارتقاء بها إلى الأفضل، والأحسن، فضيلة الدكتور: محمد حسن بخيت حفظه الله ورعاه مناقشاً داخلياً، وفضيلة الدكتور: تميم ضيف الله ضهير حفظه الله مناقشاً خارجياً.

جزى الله هؤلاء جميعًا خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة، وجاهد في الله حقّ جهاده، صلوات ربي عليه وسلامه وعلى آله وأصحابه وأزواجه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

إن خير الحديث كتابُ الله، وخيرِ الهدى هدى محمد ﷺ، وشرِ الأمور محدثاتها، وَكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد:

فقد انبرى العلماء لتفسير القرآن الكريم، وتوضيح مراميه ومقاصده وأهدافه؛ لكي يعي المسلمون كتاب ربهم، ويتحصلوا على الهداية المنشودة التي يرضاها لهم رب العزة سبحانه وتعالى ؛ وحتى لا يبقى مجال لمسلم أن يتأول آيات الله تعالى تأويلاً فاسداً ، فيضل ويضل.

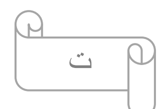
ومع كثرة الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وتباين عقائدها، والتي تؤمن بالقرآن الكريم بأنه كتاب من عند الله تعالى، وتعده كتاب هداية وإرشاد- أخذت هذه الفرق تفسر القرآن الكريم، وفق ما تعتقده من عقائد، وما تؤمن به من أفكار، فسخروا الآيات القرآنية لخدمة عقائدهم وأفكارهم المخالفة لعقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم، ووجهوها توجيهاً مغايراً للصواب، فشابت تفاسيرَهم انحرافات وضلالات، وامتزجت بصبغات من التأويل الفاسد، فوقعوا في أشد الانحراف، وأسوأ صور الافتراء على الله تعالى.

ولذلك الأمر انبرى أهل السنة إلى الرد على تلك الفرق من خلال تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، وسائر الكتب التي كتبوها للذود عن العقيدة الصحيحة، الأمر الذي نلاحظه بكثرة في

١. تفسير الإمام القرطبي.
٢. وكتابه التذكرة بأمور الآخرة.
٣. وكتابه الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى.

حين أكثر من الرد على تأويلات المعتزلة، فكان هذا البحث.

وتضمنت المقدمة ما يلي:



أولًا: أهمية الموضوع والغاية منه:

تنبع أهمية هذا الموضوع والغاية منه من خلال النقاط التالية:

١) توضيح العقيدة الصحيحة من القرآن الكريم ودورها في بناء وريادة الأمة الإسلامية.

٢) التمييز بين عقيدة أهل السنة وبين المخالفين من خلال كتب التفسير والعقيدة، ومعرفة مسالك الذب عنها.

٣) التأكيد على عقيدة السلف، وبيان فضلها؛ كونها الأولى بالإتباع والانقياد.

٤) التزام الطرق المنهجية السنية في التعامل مع الغيبيات، والإيمان بها.

٥) تسليط الضوء على أهمية هذا الموضوع ، وزيادة الاهتمام من قبل الدعاة ؛ للارتقاء بالمجتمع المسلم نحو التفسير الصحيح، المبني على الأصول العقدية الثابتة عند أهل السنة.

٦) إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكّمة تتناول موضوعًا جديدًا في علم ي التفسير والعقيدة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

تعد الأسباب التالية من أهم الأسباب التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع للبحث:

١) خدمة كتاب الله ﷻ، وصونه من تيارات الانحراف، والتأويل الفاسد، الذي يقتضي تأويل القرآن على غير مراد الله تعالى منه.

٢) ما لهذا الموضوع من أهمية عظيمة للأمة الإسلامية؛ كونه يمايز بين عقيدة أهل السنة، وبين مخالفيهم، وذلك من خلال تفاسيرهم للقرآن الكريم.

٣) التأكيد على فضل عقيدة السلف الصالح، وأنها الأولى بالاتباع والانقياد، فهي خير الطرق للظفر برضى الله تعالى ونعيمه.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

يعد هذا الموضوع دراسة نوعية جديدة في إبراز منهج الإمام القرطبي في الرد علي المعتزلة، على ضوء بيان دور أهل السنة في الذب عن العقيدة الإسلامية، والتأويل الباطل لآيات القرآن الكريم؛ وذلك أنني لم أعثر -حسب اطلاعي وبحثي- على رسالة علمية كتبت في هذا الموضوع، وإنما جملة ما بحث هو خاص في تفسير الإمام القرطبي منصبٌ على الدراسات اللغوية والنحوية، أو الاحتجاج للقراءات، أو الترجيحات في الأحكام الفقهية، أو تحقيق الكتاب

وبيان الدخيل فيه، أو ذكر منهجه في التفسير – والعقيدة تحتاج إلى دراسة من مثل هذا النوع الأمر– ومن تلك الدراسات:

١– ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الأنعام إلى آخرها، رسالة علمية مقدمة من الطالبة : أسماء بنت محمد السلومي؛ لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى (1429هـ).

٢– منهج الإمام القرطبي في أصول الدين، مقدمة من الطالب: أحمد بن عثمان المزيد؛ لنيل درجة الماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤١٢ هـ).

٣– منهج الإمام القرطبي في أصول الدين ، رسالة علمية مقدمة من الطالب : أحمد الزيد؛ لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام (1413هـ)

٤– الآراء الأصولية للإمام القرطبي من خلال تفسيره ، رسالة علمية مقدمة من الطالب عيسى بن يوسف العيسى ؛ لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية ببغداد ، كلية الفقه وأصوله (١٤٢٣ هـ)

٥– الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي ؛ رسالة علمية مقدمة من الطالب: سيدي عبد القاد ر بن محمد محمود الطفيل ؛ لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة الإسلامية . (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م) .

٦– ترجيحات القرطبي في الحدود من خلال كتابه الجامع لأحكام القرآن ، رسالة علمية مقدمة من الطالبة: سعدية بنت حامد الجهني ؛ لنيل درجة الدكتورا ة في الدراسات الإسلامية من كلية التربية بجده (١٤١٤ هـ).

٧– الدخيل في تفسير القرطبي، رسالة علميةٍ مقدمة من الطالب : أحمد الشحات أحمد موسى؛ لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر، كلية أصول الدين – القاهرة.

٨– الدرس اللغوي في تفسير القرطبي. سورة ا لفاتحة والبقرة وآل عمران ، رسالة علمية تقدم بها الطالب : علي بن زكريا علي الجوخي ؛ لنيل درجة الدكتورا ة، من جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب (١٩٩٧ م) .

٩– القرطبي مفسراً ، رسالة علمية مقدمة من الطالب : علي بن سليمان العبيد ؛ لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه ، الرياض (١٩٨٢ م) .

١٠ – القرطبي ومنهجه في التفسير ، رسالة علمية مقدمة من الطالب : محمود حامد زلط القصيبي؛ لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين –القاهرة – ١٩٧٢م.

١١ – القضايا النحوية في تفسير القرطبي ، رسالة علمية مقدمة من الطالب: كاظم بن إبراهيم كاظم، لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة (١٤٠٢ هـ)

١٢ – المسائل الأصولية في كتاب الجامع لإحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، جمعاً و دراسة ، رسالة علمية مقدمة من الطالب زين ولد احمد ، لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،(١٤٢٠ هـ)

١٣ – المعنى والإعراب في تفسير القرطبي، رسالة علمية مقدمة من الطالب: محمد سعد محمد السيد؛ لنيل درجة الماجستير من جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب– ١٩٨٩ م.

١٤ – منهج الإمام أبي عبد الله القرطبي في استنباط الأحكام من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن. رسالة علمية مقدمة من الطالب: حارث بن محمد سلامة العيسى، لنيل درجة الماجستير، من جامعة آل البيت، كلية الآداب، الأردن (٢٠٠٠ م).

١٥ – أثر المعنى في توجيه الشاهد النحوي في تفسير القرطبي. رسالة علمية مقدمة من الطالب: يوسف بن سليمان عليان؛ لنيل درجة الماجستير من جامعة اليرموك ،كلية الآداب ، إربد (١٩٩١ م) .

16 – اختيارات القرطبي في المعاوضات المالية من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن: دراسة فقهية مقارنة، رسالة علمية مقدمة من الطالب: فهد بن مهنا الأحمدي؛ لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٢٣ هـ).

رابعاً: البحث وطبيعة العمل فيه:

سيستخدم الباحث في هذه الدراسة– بعون الله تعالى– المنهج الوصفي؛ باعتباره أنسب المناهج لمثل هذا الموضوع، وذلك عن طريق عرض التفاسير وبيانها، ومقارنتها بعقيدة أهل السنة والجماعة.

خامساً: طريقة البحث:

تمثلت طريقة البحث في النقاط التالية:

١) بيان موقع الآيات القرآنية في المصحف، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢) كتابة الآية القرآنية مدار البحث مُشكولةً برواية حفصٍ عن عاصم الكوفي.

٣) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وذلك بعزوها إلى كتب السنة، وعزوها إلى مظانها، وذلك حسب ضوابط التخريج وأصوله، ونقل حكم العلماء على الأحاديث التي في غير الصحيحين؛ لأن الأمة أجمعت على قبولهما، فأكتفي بتخريجه منهما.

٤) أخذ النصوص من مظانها، وعزوها إلى أصحابها، مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.
٥) عندما أقتبس النص حرفياً أضعه بين علامتي تنصيص، ولا أكتب في الحاشية لفظ: انظر، في حين إذا اقتبسته بالمعنى، فإنني أكتب لفظ: (انظر)، وإذا اختصرت بعض المعاني فإنني أشير في نهاية التوثيق للنص بلفظ: (بتصرف).
٦) حين الاقتباس من كتاب ما، أوثقه في الحاشية توثيقاً كاملًا، وذلك بذكر كل ما يتعلق بالكتاب من بيانات، وإذا اقتبست منه لاحقًا، فإنني أختصر هذا التوثيق، وذلك بذكر اسم الكتاب، ورقم الجزء والصفحة.
٧) التركيز على كتب العقيدة والتفسير في جمع المادة العلمية، واستنباط المفردات المطلوب بحثها، والاستعانة بمصادر أخرى، وبيان ما يحمله التفسير من الصواب والخطأ، وذلك وفق عقيدة أهل السنة والجماعة.
٨) توضيح معاني المفردات الغريبة التي تحتاج إلى بيان في الحاشية.
٩) الترجمة للأعلام المغمورين المذكورين في متن الرسالة.
١٠) ترتيب المصادر والمراجع في مجموعات حسب الحروف الهجائية.
١١) إعداد فهارس علمية، وهي: فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس الأعلام المترجم لهم، فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

سادساً: خطة البحث:

المقدمة:

وتشتمل على أهمية البحث وأسباب اختياره وأهداف الدراسة والغاية منها والدراسات السابقة ومنهج البحث وطريقته، وخطة البحث.

الفصل الأول: التعريف بالإمام القرطبي والمعتزلة:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالإمام القرطبي.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : الإمام القرطبي، اسمه وكنيته، ونسبه، ولقبه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني : وفاته، ومؤلفاته، وشيوخه، وتلاميذه.

المطلب الثالث : رحلاته في طلب العلم وأقوال العلماء في الإمام القرطبي.

المطلب الرابع : عقيدة الإمام القرطبي ومنهجه.

المبحث الثاني: نشأة المعتزلة وأصولهم الخمسة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نشأة المعتزلة.

المطلب الثاني: الأصول الخمسة عند المعتزلة.

الفصل الثاني: محاور الاختلاف بين المعتزلة وأهل السنة من خلال كتب القرطبي.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الصفات الإلهية.

ويشتمل على مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة والمعتزلة في الصفات الإلهية.

أولًا: عقيدة أهل السنة في الصفات الإلهية وموقف القرطبي منها.

ثانيًا: عقيدة المعتزلة في الصفات الإلهية إجمالاً.

المطلب الثاني: نماذج من تأويلات المعتزلة لآيات الصفات وموقف القرطبي منها:

أولًا: الصفات الذاتية :

١ - الوجه.
٢ - العين.
٣ - اليد.
٤ - العلم.
٥ - الحياة.

ثانيًا: الصفات الفعلية:

١ - الاستواء.
٢ - النزول.
٣ - الرضا.
٤ - الكره.
٥ - الغضب.
٦ - الفرح.

المبحث الثاني: القضاء والقدر.

ويشتمل على مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة والمعتزلة من القضاء والقدر وموقف القرطبي منها.

أولًا: عقيدة أهل السنة من القضاء والقدر.

ثانيًا: عقيدة المعتزلة من القضاء والقدر.

المطلب الثاني: نماذج من أراء المعتزلة في القضاء والقدر وموقف القرطبي منها:

أولًا: خلق أفعال العباد.

ثانيًا: التجوير.

المبحث الثالث: الغيبيات.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة والمعتزلة من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها.

أولًا: عقيدة أهل السنة من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها.

ثانيًا: عقيدة المعتزلة من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها.

المطلب الثاني: تأويل المعتزلة للآيات المقررة للقضايا الغيبية من خلال تفسير القرطبي.

المطلب الثالث: أدلة وجود الله تعالى عند الأشاعرة وموقف القرطبي منها.

* **الخاتمة:**

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

* **المصادر والمراجع.**

* **الفهارس العامة.**

الفصل الأول:

التعريف بالإمام القرطبي والمعتزلة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

التعريف بالإمام القرطبي.

المبحث الثاني:

نشأة المعتزلة وأصولهم الخمسة.

المبحث الأول

التعريف بالإمام القرطبي

المطلب الأول :

الإمام القرطبي، اسمه وكنيته، ونسبه، ولقبه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني :

وفاته، ومؤلفاته، وشيوخه، وتلاميذه.

المطلب الثالث :

رحلاته في طلب العلم وأقوال العلماء في الإمام القرطبي.

المطلب الرابع :

عقيدة الإمام القرطبي ومنهجه.

المبحث الأول

التعريف بالإمام القرطبي

المطلب الأول

الإمام القرطبي اسمه، وكنيته، ونسبه، ولقبه.

أولاً : اسمه.

هو الإمام مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح (بإسكان الراء وبالحاء المهملة) القرطبي المالكي المفسر .[١]

ثانياً : كنيته ونسبه ولقبه.

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الأنصاري ، الخزرجي[٢]، الأندلسي ، القرطبي. [٣]

ثالثاً : مولده ونشأته.

ولد الإمام القرطبي في الأندلس بقرطبة في عصر الموحدين، ولم تشر كتب التراجم والإعلام إلى سنة ولادته. [٤]

أما عن نشأته رحمه الله فلم تتحدث كتبه ولا كتب التراجم والأعلام عنها كثيراً وسأكتفي بإذن الله بذكر شيء من حياته، وذلك من كتابه الجامع لأحكام القرآن عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

فيقول عند تفسيره للآية السابقة والمسألة " الخامسة : العدو إذا صبح قوماً في منزلهم ، ولم يعلموا به ، فقتل منهم ، فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك أو حكم سائر الموتى ؟ وهذه

---

(١) انظر: تفسير القرطبي لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة : الثانية ، 1384هـ - 1964، (1/ 6)، القاهرة، وانظر طبقات المفسرين للسيوطي (ص: 92) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة: الأولى،الناشر: مكتبة وهبة – القاهر ة، وانظر: الأعلام(5/ 322):خير الدين بن محمود، الزركلي الدمشقي، الطبعة: الخامسة عشر الناشر: دار العلم للملايين.

(٢) نسبة إلى الخزارجة الذين سكنوا الأندلس و ينسب الخزرج إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٣) المصدر السابق (1/ م)

(٤) المصدر السابق (1/ م)

المسألة نزلت عندنا بقرطبة أعادها الله : أغار –العدو الأسبان– قصمه الله صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة والناس في أجرانهم على غفلة، فقتل وأسر، وكان من جملة من قتل والدي رحمه الله فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف ب . أبي حجة[1] فقال: غسله وصل عليه ، فإن أباك لم يقتل في المعترك بين الصفين ، ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي فقال : إن حكمه حكم القتلى في المعترك ، ثم سألت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء، فقالوا : غسله وكفنه وصل عليه، ففعلت، ثم بعد ذلك وقفت على المسألة في التبصرة لأبي الحسن اللخمي وغيرها ، ولو كان ذلك قبل ما غسلته وكنت دفنته بدمه في ثيابه" . [2]
ونقف مع هذه القصة في بعض الأمور، والتي تبرز لنا التالي:

١. تظهر لنا القصة جلياً أن حادثة قتل والده من الأعداء كانت أثناء طلب الإمام العلم والتلقي، حيث كان حرص الإمام رحمه الله والمطالعة من الكتب؛ للوقوف على الحق.
٢. مكانة قرطبة التي حضنت العلم والعلماء بما تمثل فيها من حلق للعلم في المساجد والمدارس والمكتبات.

وكذلك يختم الباحث الحديث عن نشأت وحياة القرطبي بذكر كلام للإمام القرطبي للآية الثانية عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] .

حيث يقول القرطبي " قُلْتُ: وَلَقَدِ اتَّفَقَ لِي بِبِلَادِنَا الْأَنْدَلُسِ بِحِصْنِ منثور من أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ مِثْلُ هَذَا. وَذَلِكَ أَنِّي هَرَبْتُ أَمَامَ الْعَدُوِّ ، وَانْحَزْتُ إِلَى نَاحِيَةٍ عَنْهُ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِي فَارِسَانِ وَأَنَا فِي فَضَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ قَاعِدٌ لَيْسَ يَسْتُرُنِي عَنْهُمَا شي، وَأَنَا أَقْرَأُ أَوَّلَ سُورَةِ يس وَغَيْرَ

---

(١) أَحْمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الْقَيْسِي الْقُرْطُبِيّ أَبُو جَعْفَر النَّحْوِيّ الْمُقْرِئ الزَّاهِد يعرف بِابْن أبي حجَّة. قَالَ ابْن عبد الْملك: كَانَ من كبار الأستاذين، مقرئا مُتَقَدما نحويا محققا مُحدثا حَافِظًا مَشْهُور الْفضل، من أهل الزّهْد والورع والتواضع،أَخذ الْقرَاءَات عَن أبي الْقَاسِم بن الشراط، وأقرأ الْقُرْآن والنحو، وأسمع الحَدِيث بقرطبة، وَولي الْقَضَاء والخطابة بهَا. وَألف: تسديد اللِّسَان فِي النَّحْو، وَالْجمع بَين الصَّحِيحَيْن. وَغير ذَلِك. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا ،(1/ 383).
(٢) تفسير القرطبي (260/4).

ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَعَبَرَا عَلَيَّ ثُمَّ رَجَعَا مِنْ حَيْثُ جَاءَا وَأَحَدُهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ: هَذَا دَيْبَلَةٌ ، يَعْنُونَ شَيْطَانًا. وَأَعْمَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبْصَارَهُمْ فَلَمْ يَرَوْنِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا عَلَى ذلك." (١)

ويمكن القول بأن الحصن الذي أشار إليه الإمام القرطبي رحمه الله هو أحد الحصون المجاورة لقرطبة؟ التي سقطت في يد الأعداء سنة 633 هـ، حيث غادرها معظم أهلها، وكان من ضمنهم القرطبي، حيث كانت وجهته الإسكندرية؛ ليتلقى هناك العلم أيضاً على يد العلماء الذين نذكر منهم الإمام المحدث ابن رواج الذي وافته المنية عام 648هـ. " (٢)

(١) تفسير القرطبي (270/10).

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: (1 089هـ)، محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط – الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة: الأولى، 1406

المطلب الثاني
وفاته ومؤلفاته وشيوخه وتلاميذه

أولاً: وفاته.

لقد استقر الإمام رحمه الله بمنية ابن خصيب بمصر، وتوفي ودفن بها في ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة 671هـ، رحمه الله. بعد حياة قضاها في طاعة الله تعالى ملأها بتعلم الحق وتعليمه للناس من خلال سماعه من العلماء وبحثه عن الحق ومن خلال تصنيفاته التي سيشير الباحث إليها. (١)

ثانياً : مؤلفاته.

تنوعت وتعددت تصنيفات الإمام القرطبي رحمه الله تعالى فمنها ما كا ن في التفسير ومنها ما كان في العقيدة ومنها ما كل في الزهد والرقائق، ومن تلك الكتب ما ه و موجود، ومنها ما هو غير موجود، حيث أشار إليها القرطبي في كتبه أو كتب أخرى لغيره من العلماء أشارت إليها فمن تصنيفات الإمام رحمه الله تعالى :

١. كتاب في التفسير وسمه بـ الجامع لأحكام القرآن.

جمع فيه تفسير القرآن الكريم ويعد تفسيره كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً، سماه كتاب" الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، وَالْمُبَيِّنِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ السنة وآي الفرقان" وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ .

٢. كتب في العقيدة أهمها:

أ - كتاب" التذكرة، بأحوال الموتى".

وهو كتاب نافع قيم حيث ذكر فيه رحمه الله أحوال الموتى، والآخرة والجنة والنار، والمسيح وما يتعلق بالمسيح الدجال والدابة، ويأجوج ومأجوج، وغير ذلك من أحداث آخر الزمان، وعلامات الساعة مع ذكر بعض المواعظ، والكتاب مطبوع أكثر من طبعة.

(١) تفسير القرطبي (1/ م) ، وانظر: الأعلام(5/ 322) وانظر: الوافي بالوفيات:(2/ 87) صلاح الدين خليل بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت.

ب -كِتَابِ" الْأَسْنَى، فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى". (١)

وهذا الكتاب تعرض فيه القرطبي لشرح أسما ء الله الحسنى، والرد في بعض نواحيه على المعتزلة، وقد ذكر القرطبي هذا الكتاب في تفسيره في أكثر من موضع، وهو كتاب مطبوع.

ت -" أرجوزة جمع فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وله تآليف وتعاليق مفيدة غير هذا. (٢)

ث -كتاب الإعلام بما في دين النصارى وإظهار محاسن الإسلام.(٣)

ج - كتاب في عذاب القبر ونعيمه.

وهو كتاب مطبوع يوجد في مكتبة الجامعة الإسلامية -بغزة.

ح كتاب الفزع الأكبر.

وهو كذلك مطبوع وموجود في مكتبة الجامعة الإسلامية -بغزة.

خ وكتاب" التذكار، في أفضل الأذكار".

وضعه على طريقة التبيان النووي، لكن هذا أتم منه وأكثر علماً ، وهو كتاب مفيد مطبوع، وقد قسَّمه القرطبي إلى أربعين باباً في فضل القرآن الكريم وقارئه والعامل به، حيث قال في مقدمة الكتاب: "فاستخرت الله سبحانه في ذلك ، وسألته التيسير علي في ذلك، فيسر لي تخريج أربعين باباً في فضل كتابه العزيز وقارئه ومستمعه والعامل به، وسميته (التذكار في أفضل الأذكار). (٤)

د - وكتاب" شرح التقصي". (٥)

وكتابه هذا اختصار لكتاب التمهيد لابن عبد البر، قام القرطبي بشرحه.

---

(١) الوافي بالوفيات:(2/ 87)

(٢) تفسير القرطبي (1/ ل)

(٣) انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: 1399هـ)،الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة، استانبول- (2/ 129)

(٤) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ)،الناشر: مكتبة المثنى- عدد الأجزاء: 6 (الكتاب الإلكتروني هو المجلدان المخصصان لكشف الظنون فقط) (1/ 383)

(٥) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (2/ 129)

3. كتب في الزهد، أهمها:
- كتاب" قَمْعُ الْحِرْصِ بِالزُّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ، وَرَدُّ ذُلِّ السُّؤَالِ بالكتب والشفاعة".
وهو كتاب عظيم الفائدة، حيث مدحه ابن فرحون، فقال: لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه. (١)

ثالثاً : شيوخه.

لقد سمع القرطبي من عدد من المشايخ والعلماء، أشهرهم في الأندلس:

١. أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن مُحَمَّد الْقَيْسِيّ من أهل قرطبة يعرف بِابْن أبي حجَّة ، ويكنى أَبَا جَعْفَر سَمِعَ من أبي القَاسِم الشرط، وَجعل رِوَايَته عَنْهُ ، وَمن أبي الْوَلِيد هِشَام بْن عَبْد اللَّه الْحَاكِم ، وَأَجَازَ لَهُ وَسمع يَسِيراً من ابْن بشكوال وَابْن حَفْص وَابْن مضاء ونجبة وَأبي الْعَبَّاس المجريطي، وَلم يجيزوا لَهُ ، وتصدر لإقراء الْقُرْآن والتعليم بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَله تأليف مِنْهَا كتاب منهاج الْعباد وَكتاب تفهيم الْقُلُوب آيَات علام الغيوب ومختصر التَّبْصِرَة لمكي فِي الْقرَاءَات وَكتاب تسديد اللِّسَان الذّكر أَنْوَاع الْبَيَان فِي الْعَرَبيَّة وَغير ذَلِكَ (٢)

٢. ربيع بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن ربيع الْأَشْعَرِيّ من أَهْلَ قرطبة وقاضيها، ويكنى أَبَا سُلَيْمَان سَمِعَ من أبي القَاسِم الشراط ، وَأَجَازَ لَهُ أَبُوهُ أَبُو الْحُسَيْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَحْمَد وَأَبُو القَاسِم بْن بشكوال ، قَرَأت ذَلِكَ بِخَطِّهِ ، وَكَانَ رجلاً صَالحاً عدلاً فِي أَحْكَامه نبيه الْقدر وَالْبَيْت حدَّث بِيَسِير (٣)

٣. ابْنُ قُطرَالَ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ القُرْطُبِيُّ القَاضِي، العَلاَّمَةُ، القُدْوَةُ، الأَنْصَارِيُّ، القُرْطُبِيُّ، المَالِكِيُّ.وُلِدَ: سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسِتِّيْنَ وَخَمْسِمائَةٍ، وَلِيَ قَضَاءَ أُبّذَةَ، فَأَسره العَدُوُّ لَمَّا أَخَذُوهَا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّ مائَةٍ، ثُمَّ تَخلَّص، وَوَلِيَ قَضَاءَ شَاطِبَةَ، ثُمَّ شرِيش، ثُمَّ قَضَاءَ قُرْطُبَةَ، ثُمَّ أُعِيْد إِلَى قَضَاءِ شَاطِبَةَ وَخطبتِهَا، ثُمَّ سَبْتَةَ، ثُمَّ قَضَاءِ

---

(١) تفسير القرطبي (المقدمة/ 6).

(٢) التكملة لكتاب الصلة :المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: 658هـ)، المحقق: عبد السلام الهراس الناشر: دار الفكر للطباعة – لبنان سنة النشر: 1415هـ- 1995- انظر(1 /109،108)

(٣) المرجع السابق (1/ 260)

فَاس، وَكَانَ مِنْ رِجَالِ الكَمَالِ عِلْماً وَعملاً، يُشَارِكُ فِي عِدَّةِ فُنُوْنٍ، وَيَمتَازُ بِالبَلاغَةِ، وَهُوَ أَحَدُ الأَعْلاَمِ فِي زَمَانِه. [١]

وكذلك من شيوخه بمصر:

١. الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي [٢] وأخذ بعض شرحه لكتاب " المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم".

٢. الْحَافِظِ أَبِو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ محمد البكري، حيث قال القرطبي في الجامع" قُلْتُ: قرأت على الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْمُحَدِّثِ الْحَافِظِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بن محمد بن محمد ابن عَمْرُوكٍ الْبَكْرِيِّ بِالْجَزِيرَةِ قُبَالَةَ الْمَنْصُورَةِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ" [٣]

٣. الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي وغيرهما [٤]

وهذا كما ذكره الذهبي في طبقات المفسرين أن القرطبي سمع أيضاً من ابن رواج [٥] وابن الجميزي وعدة [٦].انظر ترجمة ابن رواج والجميزي أسفل الحاشية.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى : 748هـ)- تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة ط : الثالثة. (23/ 305- 304).

(٢) أَحْمد بن عمر بن إِبْرَاهِيم بن عمر الإِمَام أَبُو الْعَبَّاس الْأَنْصَارِيّ الْقُرْطُبِيّ الْمَالِكِي الْمُحدث الْمدرس الشَّاهِد نزيل الْإِسْكَنْدَرِيَّة ولد بقرطبة سنة ثَمَان وَسبعين وَسمع بهَا وَقدم وَحدث بهَا وبمصر وَاخْتصرَ الصَّحِيحَيْنِ ثمَّ شرح مُخْتَصر صَحِيح مُسلم وَسَماهُ الْمُفْهم وأتى فِيهِ بأَشْيَاء مفيدة وَكَانَ بارعاً فِي الْفِقْه والعربية عَارِفًا بِالْحَدِيثِ وَتُوفِّي بالإسكندرية سنة سِتّ وَخمسين وست مائَة وَكَانَ يعرف فِي بِلَاده بِابْن المزين.انظر: الوافي بالوفيات (7/ 173).

(٣) تفسير القرطبي (15/ 141)

(٤) تفسير القرطبي، المقدمة صفحة م

(٥) ابن رواج : عبد الْوَهَّاب بن ظافر بن عَليّ بن فتوح بن الْحُسَيْن بن إِبْرَاهِيم الْمُحدث الْمسند رشيد الدّين أَبُو مُحَمَّد ابْن رواج وَهُوَ لقب أَبِيه ولد سنة أَربع وَخمسين وَخمْس ماية وَتُوفِّي سنة تسع وَأَرْبَعين وست مائة وكتب بِخَطِّهِ الْكثير وَخرج لنَفسِهِ أَرْبَعِينَ حَدِيثا وكان فَقِيها لبيباً فَاضلا دينا صَحِيح السماع روى عَنهُ والضياء السبتي وَجَمَاعَة كَثِيرُونَ وَحدث بِالْقَاهِرَةِ والإسكندرية انظر الوافي بالوفيات (19/ 202) .

- الجميزي: (بهاء الدّين بن الجُمَّيْزِي الشَّافِعِي) الإِمَام العلاّمة مُسند الديار المصرية بهاء الدّين أَبُو الْحسن اللَّخْمِيّ الْمصْرِيّ بن الجُمَّيْزِي الشَّافِعِي الْخَطِيب المدرِّس مائَة حفظ الْقُرْآن وَهُوَ ابْن عشر سِنِين أَو أقل ورحل مَعَ أَبوهُ وَسمع بِدِمَشْق ورحل مَعَ أَبِيه إِلَى بغداذ وَقَرَأَ بالقراءات الْعشْر على أبي الْحسن عَليّ بن عَسَاكِر وهو آخر من روى عَنهُ بِالسَّمَاع وتفقَّه بِمصْر على أبي إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن مَنْصُور الْقَرَافِي وخطب مُدَّة بِجَامِع الْقَاهِرَة وَكَانَ رَئِيس الْعلمَاء بِالْقَاهِرَةِ فِي وقته معظَّماً عِنْد الخاصَّة والعامَّة. انظر الوافي بالوفيات (176/22)

(٦) طبقات المفسرين العشرين ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: علي محمد عمر الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة الطبعة: الأولى، 1396- (92/1)

٤. أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي:
من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعيّ) بالقاهرة. وهو مصري له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها (أنوار البروق في أنواء الفروق) و (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام) وغيره من المصنفات. [١]

رابعاً : تلاميذه:

لم تذكر كتب التراجم والأعلام أسماء تلاميذ كثر تتلمذوا على يد الإمام القرطبي رحمه الله تعالى الأمر الذي لا يناسب شهرته ولا غزارة علمه، فقد روى عن الإمام القرطبي بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد [٢]، وكذا قال الذهبي في طبقاته. [٣]

---

(١) انظر الأعلام: الزركلي –ط الخامسة عشر(1/ 94-95) .

(٢) انظر طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر(70/2)

(٣) طبقات المفسرين العشرين السيوطي- (ص: 92)

المطلب الثالث
رحلاته في طلب العلم وأقوال العلماء فيه

أولاً : رحلات الإمام القرطبي في طلب العلم.

إن وفرت العلم وغزارته التي تحدث عنها أصحاب كتب التراجم والأعلام عن الإمام رحمه الله تظهر جلياً مدى الجهد والسعي المبذولين من الإمام القرطبي في طلب العلم فقد قضى حياته ما بين طلبٍ للعلم وما بين تعليم وتصنيف وإقبال إلى الآخرة حتى توفي رحمه الله وعليه فإن الباحث ومن خلال ترجمته لشيوخ [١] الإمام القرطبي ليظهر رحلاته المتمثلة من الأندلس إلى مصر ثم رحلاته داخل المدن والمحافظات المصرية، حيث التقى العديد من العلماء والمشايخ، ونذكر هنا على سبيل القصر لا الحصر هنا :

١. **رحلته إلى الفيوم،** حيث التقى هناك الشيخ العالم القرافي، [٢] فقد قال صاحب كتاب الوافي بالوفيات ما نصه:

"أَخْبرنِي من لَفظه الشَّيْخ فتح الدّين مُحَمَّد بن سيد النَّاس الْيَعْمرِي قَالَ ترافق الْقُرْطُبِيّ الْمُفَسّر وَالشَّيْخ شهَاب الدّين الْقَرَافِيّ فِي السّفر إِلَى الفيوم ، وكل مِنْهُمَا شيخ فنه فِي عصره الْقُرْطُبِيّ فِي التَّفْسِير والْحَدِيث والقرافي فِي المعقولات ". [٣] ويظهر هنا أن القرطبي قد رافق الشيخ القرافي، ونهل من علمه، كما يظهر أيضاً أن القرطبي قد رحل إلى الفيوم؛ ليلتقي هنالك العلماء، فيتلقى عنهم العلم.

٢. **رحلته إلى الإسكندرية،** حيث التقى هناك العديد من العلماء منهم العالم الجليل ابن رواج، حيث كان ابن رواج فقيهاً لبيباً، وكذلك التقى هناك أبا عباس القرطبي [٤] شارح صحيح مسلم.

(١) انظر: تفسير القرطبي ص 6 .

(٢) انظر: ص7 ترجمة شيوخ القرطبي.

(٣) الوافي بالوفيات :(2/ 87).والمعقولات المقصود بها علم أصول الفقه.

(٤) الشيخ أبي العباس هو أحمد بن عمر القرطبي انظر طبقات المفسرين للداوودي (2/ 70).

٣. **رحلته إلى القاهرة،** حيث كانت محط العلماء ومهوى أفئدتهم، وفيها كان لقاؤه بعدد من العلماء، أهمهم ابن الجميزي الذي كان يعتبر رئيس علماء القاهرة في حينه، كما أفاد القرطبي أيضاً أنه التقى وقرأ على العالم الحسن بن محمد البكري. [١]

٤. **رحلته الأخيرة إلى منية ابن الخصيب،** حيث كانت هذه الرحلة الأخيرة، وفيها استقر إلى أن توفاه الله تعالى سنة 671هـ. [٢]

ثانياً : أقوال العلماء في الإمام القرطبي رحمه الله.

عرف الإمام القرطبي بغزارة علمه ووفرته، حيث ظهر ذلك في مؤلفاته الكثيرة، وكان حسن السيرة والذكر بين العلماء، فقد أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً.

فقد قال الذهبي:

" إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه ووفور فضله " [٣]

.وكذا قال عنه صاحب كتاب الوافي بالوفيات [٤]

وقال عنه الداوودي صاحب طبقات المفسرين:

" كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجّه وعبادة وتصنيف، جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً في خمسة عشر مجلداً، سماه كتاب «جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن ، وهو من أجلّ التفسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص" [٥]

كما قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن تفسير الزمخشري ، حيث قال في المجموع [٦]:"وتفسير القرطبي خير منه – أي تفسير الزمخشري [٧] بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل

---

(١) انظر ص7 ترجمة شيوخ القرطبي.

(٢) طبقات المفسرين للداوودي (2/ 70)

(٣) المرجع السابق– (ص: 92)

(٤) الوافي بالوفيات، (2/ 87)

(٥) طبقات المفسرين للداوودي– (2/ 69)

(٦) المجموع: هو كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية الموسوم ب مجموع الفتاوى الكبرى (5/ 85).

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المشهور بالكشاف.

الكتاب والسنة، وأبعد عن البدع، وإن كان كل هذه الكتب لا بد أن يشتمل على ما ينقد، لكن يجب العدل بينهما، وإعطاء كل ذي حق حقه" (١)

ومدحه الزركلي صاحب كتاب الأعلام قائلاً:

"وكان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية "(٢)

ومدحه صاحب(٣) كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٤)

كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف. (٥)

ثالثاً: تأثر القرطبي –رحمه الله – بمن قبله وتأثيره فيمن بعده

أولاً: تأثره بمن قبله:

الذي يطالع تفسير الإمام القرطبي يجده قد تأثر كثيراً بمن سبقوه من العلماء ومنهم:

(1) الطبري: وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب "جامع البيان في تفسير القرآن" والمتوفى سنة 3هـ أفاد منه القرطبي، وتأثر به خاصة في التفسير بالمأثور.

2) الماوردي: وهو أبو الحسن على بن محمد الماوردي المتوفى سنة 450هـ، وقد نقل عنه القرطبي وتأثر به.

---

(١) مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ،عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية– عام النشر: 1416هـ/1995م– (13/ 387).

(٢) الأعلام الزركلي: (5/ 322).

(٣) إبراهيم بن عليِّ بن محمد بن أحمد الدَّيْلَميُّ الصُّوفيُّ: من أهلِ خُراسانَ من مدينةِ كرتمٍ؛ يُكنّى: أبا إسحاق. دخَلَ الأندَلُس: سنةَ ثمانٍ وخمسينَ وثلاثِ مائةٍ؛ فأقام بِقُرطُبةَ يسيراً، ثم خَرجَك مُنصرِفاً إلى المَشرِق. وكان: أحدَ الخِيارِ الفُضلاء، المُتزَيِّنين: بالفَقهِ؛ والمَسْتُورينَ: بالصِّيانةِ والصّبْرِ. انظر: عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (المتوفى: 403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، الطبعة: الثانية، 1408 هـ – 1988 م،عنى بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1/ 29).

(٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)– الناشر: دار التراث القاهرة (2/ 308)

(٥) تفسير القرطبي (المقدمة/ 6)

3) أبو جعفر النحاس: صاحب كتابي: إعراب القرآن، ومعاني القرآن" توفى سنة 338هـ، وقد نقل عنه القرطبي كثيراً.

4) ابن عطية: وهو القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية صاحب "المحرر الوجيز في التفسير"، وقد أفاد القرطبي منه كثيراً في التفسير بالمأثور وفي القراءات واللغة والنحو والبلاغة والفقه والأحكام توفي ابن عطية رحمة الله سنة 54هـ.

5) أبو بكر العربي صاحب كتاب "أحكام القرآن" والمتوفى سنة 543هـ، أفاد منه القرطبي وناقشه ورد هجومه على الفقهاء والعلماء.

ثانياً: تأثيره بمن بعده:

تأثر كثير من المفسرين الذين جاءوا بعد القرطبي به، وانتفعوا بتفسيره، وأفادوا منه كثيراً، حيث نقلوا عنه ومن هؤلاء :

1) الحافظ ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير المتوفى سنة 774هـ. (١)

2) أبو حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة 754هـ، وذلك في تفسيره البحر المحيط. (٢)

3) الشوكاني: القاضي العلامة محمد بن على الشوكاني المتوفى سنة 255 (٣)هـ. (٤)

---

(١) ابن كثير هو الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الشافعي. ولد بقرية "مجدل" من أعمال بصرى، سنة سبعمائة للهجرة أو بعدها بقليل إلى أن يقول محقق كتاب تفسير ابن كثير سامي بن محمد سلامة ، أما مصادر الحافظ ابن كثير في تفسيره فقد سردها الدكتور إسماعيل عبد العال في كتابه " ابن كثير ومنهجه في التفسير" أنقلها هنا: ثانيا: في التفسير وعلوم القرآن: أ–في التفسير: تفسير القرطبي (أبي عبد الله محمد القرطبي)، وتفسيره يسمى تفسير القرطبي لأحكام القرآن الكريم". (ط) . انظر تفسير ابن كثير ت سلامة (1/ 12–19–20).

(٢) أبو حيان الغرناطي هو: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بن يُوسُفُ بْنِ حَيَّان الْأَنْدَلُسِيُّ الْجَيَّانِيُّ الغرناطي، الإمام الكبير في العربية والبلاغة والتفسير ولد سنة 654 ستمائة وأربع وخمسون، ونشأ في غرناطة الأندلس وسمع وروى الكتب الأمهات في الحديث والسنن وسمع من علم الكلام مسائل عَلَى الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ الأصفهاني ، أما القراءات وهو الإمام فيها، فقد تلاها إفرادا وجمعا على مشايخ الأندلس.

(٣) الشوكاني هو محمد بن علي بن الشوكاني نسبة إلى «عدني شوكان» أو إلى «هجرة شوكان»، وهما اسمان لقرية واحدة بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، وإليها نسب والده، والصنعاني: نسبة إلى صنعاء، إلى أن تقول دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت وكان من أبرز العلماء الذين ورد كتبهم ونهل منها، وأورد عنهم نصوصا وأقوالا في تفسيره هم: النحاس و ابن عطية و القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي، أبو عبد الله، مفسّر، صاحب تصانيف، من أشهر كتبه «تفسير القرطبي» .وكانت وفاة الشوكاني في عام 1250 هـ انظر: فتح القدير للشوكاني (1/ 5– 12).

(٤) ملتقى أهل التفسير.

المطلب الرابع
عقيدة الإمام القرطبي ومنهجه

الذي ينظر إلى تأليف القرطبي بصفة عامة يرى أن الغالب على الرجل الجمع لا التمحيص والتدقيق، فتفسيره مثلاً يعد مورداً كبيراً جمعت فيه عدة مصادر تفسيرية ولغوية وحديثية وفقهية وعقائدية وصوفية وتاريخية، وفيه من الموضوع والمكذوب والضعيف الشيء الكثير من الأحاديث التي ينقلها" (١).

وأما عقيدته في باب الأسماء والصفات، فقد ذهب إلى ما ذهبت إليه الأشاعرة في هذا الباب غالباً، ويظهر ذلك لمن تتبعه في كتبه كالتفسير ، والأسنى، والتذكرة، كما أن عمدته في عقيدة الأسماء والصفات هي أقوال أئمة الأشاعرة وأساطينهم كالجويني (٢)، والأسفراييني (٣)، والرازي وابن عطية وغيرهم .والإمام القرطبي في تفسيره تبع منهج المؤولة في الصفات، ونقل كلامهم (٤)

فالحديث عن عقيدة الامام القرطبي يعد من الموضوعات الشائكة، ولا سيما حين تتعارض الأقوال المنسوبة إليه، فقد وردت عنه عبارات تفيد معرفته بعقيدة السلف، وانتماءه إليها، في حين وردت عبارات تفيد عكس ذلك، حيث يذكر ويختار القرطبي أحياناً عقيدة السلف وأحياناً أخرى يذكرها ولا يختارها؛ ليختار عقيدة الأشاعرة.

---

(١) انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، محمد بن عبد الرحمن الغراوي، ط(1)1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة- دار القرآن- بيروت- لبنان ص1575.

(٢) إِمَامُ الحَرَمَيْنِ أَبُو المَعَالِي عَبْدُ المَلِكِ بنُ عَبْدِ اللهِ الجُوَيْنِيُّ الإِمَامُ الكَبِيْرُ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، إِمَامُ الحَرَمَيْنِ،الجُوَيْنِيُّ، ثُمَّ النَّيْسَابُوْرِيُّ، ضِيَاءُ الدِّيْنِ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. وُلِدَ:فِي أَوّل سَنَة تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِ مائَة و تُوُفِّيَ:سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة والحديث عن الجويني هنا قبل رجوعه إلى مذهب السلف ، فقد صرح في النظامية ": 23، 24، بالمنع من تأويل الصفات الخبرية، وذكر أن هذا إجماع السلف، وأن التأويل لو كان مسوغا أو محتوما، لكان اهتمامهم بها أعظم من اهتمامهم بغيرها وهو آخر قول أبي المعالي الجويني سير أعلام النبلاء (8/ 467) (18/ 478، 468) انظر كتاب: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (10/ 424).

(٣) شَاهْفُوْرُ أَبُو المُظَفَّرِ طَاهِرُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْفَرَايِيْنِيُّ، العَلاَّمَةُ، المُفْتِي، أَبُو المُظَفَّرِ طَاهِرُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسفرَايينِيّ، ثُمَّ الطُّوْسِيُّ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ التَّفْسِيْر كَانَ أَحَدُ الأَعْلاَمِ تُوُفِّيَ:بِطُوسَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة انظر: سير أعلام النبلاء (18/ 401)

(٤) انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ص1576 بتصرف.

ومثال ذلك: صفة الاستواء، حيث يقول مثبتاً لها: " وخص العرش بذلك؛ لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم– يعني في اللغة– والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها. وهذا القدر كافٍ، ومن أراد زيادة عليه فليقف عليه في موضعه من كتب العلماء" [١]

وجاء عنه ما يفيد تأويلها، دون إثباتها، واثبات علو الله تعالى على عرشه، ولكنه لم يتبن هذه العقيدة، بل عرضها على أنها عقيدة السلف، فقال: "أظهر الأقوال_ وإن كنت لا أقول به ولا أختاره_ ما تظاهرت عليه الآي والأخبار والفضلاء الأخيار أن الله سبحانه على عرشه كما أخبر في كتابه بلا كيف بائن من جميع خلقه هذا جملة مذهب السلف الصالح." [٢]

وقد تعقبه غير واحد على كلمته هذه، فقال الإمام العلامة السفاريني [٣] تعليقاً على كلام القرطبي: والعجب من القرطبي، حيث يقول: وإن كنت لا أقول به ولا أختاره، ولعله خشي من تحريف الحسدة فدفع وهمهم بذلك، قاله العلامة الشيخ مرعي [٤]، وبهذا قال جماهير الحنابلة، لكن قالوا: استوى على الوجه الذي يستحقه لذاته مما لا يشاركه فيه المحدث، ولا يشابهه ولا يماثله، ولا يدل على إثبات كمية، ولا صفة كيفية، بل على الوجه الذي يستحقه الله لنفسه. [٥]

وقال: وفي قوله رحمه الله: (وإن كنتُ لا أقول به!!) غاية العجب؛ لأنَّه اعترف بتظافر الآيات القرآنية عليه ودلالة الأخبار النبوية إليه، وتعويل السلف الصالح الأخيار عليه، فكيف

---

(١) تفسير القرطبي (7/219–220).

(٢) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الحنبلي، تحقيق شعيب الارناؤوط، ط (1) مؤسسة الرسالة بيروت (ص: 132).

(٣) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها انظر الأعلام للزركلي (6/ 14) وانظر كتاب معجم المؤلفين عمر بن رضا كحالة الدمشق(8/ 262).

(٤) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الأزهري المصري الحنبلي فلسطيني الأصل ولد في مدينة طولكرم ودرس بالأزهر الشريف كان الشيخ مرعي على عقيدة أهل السنة والجماعة كما يعتقدها السلف الصالح رضوان الله عليهم كما يدل على ذلك كلامه في كتابه أقاويل الصفات حيث قال في مقدمته :(ومن السلامة للمرء في دينه اقتفاء طريقة السلف الذين أُمِرَ أن يقتدي بهم من جاء بعدهممن الخلف) أرشيف ملتقى أهل الحديث - 1 (68/ 64).

(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ) الطبعة الثانية – 1402 هـ – 1982 م، مؤسسة الخافقين– دمشق.(1/ 206)

يليق من مثله أن يقول: "وإن كنتُ لا أقول به ولا أختاره" مع الدلالات القرآنية والأحاديث النبوية، وكونه معتقد الرعيل الأول والحزب الذي عليه المعوَّل. (١)

إضافة إلى ذلك: فقد كثرت أقواله في تأويل الصفات، مثلما ذهب المعتزلة والأشاعرة، وذلك من خلال تفسيره للقرآن الكريم، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] :"ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة العقوبة، فهو صفة ذات، وإرادة الله تعالى من صفات ذاته، أو نفس العقوبة، ومنه الحديث: عن أنس بن مالك قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء)"(٢) فهو صفة فعل" (٣)

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزُّمر:٧] " أي يرضى الشكر لكم، لأن" تشكروا" يدل عليه، ويرضى بمعنى يثيب ويثني، فالرضا على هذا إما ثوابه، فيكون صفة فعل في قول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] وإما ثناؤه فهو صفة ذات ".(٤)

وقد "حاول أن يعمل سياسة التوفيق بين ما يكنه للسلف من إجلال وتقدير، وبين ما تأثر به ممن حوله، وذلك بإيراد أقوال السلف والمتكلمين في المسألة من مسائل الصفات مع ترجيح أو اختيار لمنهج المتكلمين، مع إقراره أن الحق مع السلف" (5)

---

(١) انظر: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السُّنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية: للسفاريني، تحقيق: د. عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد، ط الأولى(364/1).

(٢) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط2، 1395 هـ - 1975 م، أبواب الزكاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الصدقة، ج3، ص46، ح664،. قال الألباني ضعيف.

(٣) تفسير القرطبي (1/ 150)

(٤) المرجع السابق (15/ 237)

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة بتحقيق: د/ الصادق بن محمد بن إبراهيم ص48.

المبحث الثاني

نشأة المعتزلة وأصولهم الخمسة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

نشأة المعتزلة.

المطلب الثاني:

الأصول الخمسة عند المعتزلة.

المبحث الثاني
نشأة المعتزلة وأصولهم الخمسة

المطلب الأول
نشأة المعتزلة

تعد المعتزلة من أبرز الفرق الكلامية التي ظهرت في أوقات مبكرة من التاريخ الإسلامي، والتي كان لها الصدى الكبير في التأثير على الحياة العقدية لدى المسلمين بصفة عامة.

فهي أول فرقة أسست قواعد الخلاف، لما ورد به ظاهر السنة ، وجرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان – رضي الله عنهم – في باب العقائد[١].
ومن خلال استعراض التاريخ الإسلامي يتبين لنا أن المعتزلة نشأت في أواخر العصر الأموي ، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية؛ لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة ؛ مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة، منها: المعتزلة، والقدرية، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدة، والوعيدية[٢].

ويرى أكثر العلماء أن أصل بدء الاعتزال هو ما وقع بين الحسن البصري وواصل بن عطاء من خلاف في حكم أهل الذنوب ، وقد ظهر قرن الاعتزال بمبادئه المعروفة من البصرة التي كانت مسكناً للحسن البصري ، ثم انتشر في الكوفة وبغداد، ومنها إلى شتى الأقطار

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (1/ 364)

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، ط(4)1420هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.(64/1).

والآفاق[١]، وقد كان ذلك في أيام عبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك ، وقد افترقت على عشرين فرقة[٢].

قال الشَّهرَستاني: "دخل واحد على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج. وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة" [٣].

إن نشأة الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية[٤].

ومنذ تلك الفترة كان للمعتزلة أتباع، بعد أن ترأس واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد مذهب الاعتزال، وهم في ذلك "قد فارقوا جماعة المسلمين، وانفضوا عنهم حريصين على التميز والظهور بما أعلنوه من عقائد مخالفة، ولهذا فقد قوبلوا بالاستنكار والمعارضة من جانب العلماء؛ لأنهم ابتدعوا آراء لم يعرفها الأوائل ، كالحكم على مرتكب الكبيرة بأنه في (منزلة بين المنزلتين) ونفي القدر. فكان عبد الله بن المبارك حينذاك يحذر المسلمين منهم بقوله:"أيها الطالب علماً ايتِ

---

(١) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، غالب بن علي عواجي، ط(4)، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق- جدة- السعودية (1164/3). وانظر: الإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ص 119، ط11432هـ-200م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، ط(2)1977م، دار الآفاق الجديدة – بيروت- لبنان، ص18.

(٣) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي(1/ 47-48).

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1/ 64)

حماد بن زيد، فخذ العلم بحلم، ثم قيده بقيد، وذر البدعة من آثار عمرو بن عبيد) ومنه نفهم الانشقاق الذي بدأ يظهر بين علماء الحديث والمتكلمين منذ بزوغ المسائل الكلامية في مهدها، إذ كان عمرو بن عبيد قبل ذلك منخرطًا في سلك الجماعة الإسلامية، مرتبطًا بإعلانه لرأيه المخالف لرأي الجماعة، اعتبر مبتدعًا، فوصفه "ابن حبان" بأنه كان من أهل الورع والعبادة، إلى أن أحدث ما أحدث ، واعتزل مجلس الحسن، وجماعة معه؛ فسموا معتزلة، وكان يشتم الصحابة،ويكذب في الحديث وهماً لا تعمداً"[١].

---

(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين مصطفى محمد حلمي، الطبعة: الأولى - 1426 هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، (ص: 91).

المطلب الثاني
الأصول الخمسة عند المعتزلة

يقوم مذهب المعتزلة على أصول خمسة، قد أجمعوا عليها، واعتبروها الجامع، الذي يجمعهم والحد الذي يمنع الالتباس بهم، وإن اختلفوا في كثير من المسائل الفرعية.(١)

يقول أبو الحسين الخياط المُعتزلي(٢): "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال، فهو معتزلي"(٣).

فللتوحيد يعني نفي صفات الباري جل وعلا، وإثبات أسماء لا معاني لها كقولهم عالم بلا علم قادر بلا قدرة ، والعدل، وحقيقته عندهم نفي قدر الله عز وجل ومشيئته النافذة على خلقه، وأن العباد خالقون لأفعالهم، فسموا لذلك مجوس هذه الأمة، وسموا قدرية لنفيهم القدر، وهم يلقبون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، إنفاذ الوعيد، وهو أن مرتكب الكبيرة عندهم _ إذا لم يتب _ فهو من الخالدين في النار ، والمنزلة بين المنزلتين، وهو قولهم إن الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمناً ولا كافراً ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه جواز الخروج على الأئمة عندهم وقتالهم بالسيف(٤).

---

(١) انظر: الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها، صالح زين العابدين الشيبي، رسالة ماجستير بإشراف: أ.د/ عوض الله جاد أحمد حجازي، ص28، 1397هـ- 1977م، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة- السعودية، بدون طبعة.

(٢) هو: أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان ، شيخ المعتزلة البغداديين، كان من بحور العلم، وله جلالة عجيبة عند المعتزلة، من مؤلفاته: نقض نعت الحكمة، الرد على من قال بالأسباب، والاستدلال، توفي في حدود: (30هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (220/14)، ترجمة رقم: (121).

(٣) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، أبو الحسين عبد الرحيم الخياط، مقدمة وتحقيق وتعليقات: د/ نيبرح، ص126-127، ط(2) بيروت 1413هـ-1993م، مكتبة الدار العربية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د/ عبد الكريم عثمان، ص 128-148، ط(3)1416هـ- 1996م، مكتبة وهبة- القاهرة – مصر. وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (69/1).

وعلى تلك الأسس نشأت انحرافات كثيرة عند المعتزلة، فهم ينكِرون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ويوجبون على الله سبحانه وتعالى الثواب والعقاب والصلاح والأصلح، ويقدمون العقل على النقل، ويقولون بخلق القرآن ، وأصل معتقدهم باقٍ إلى اليوم، متمثل في كل الفرق التي تتخذ من العقل حكمًا على مسائل العقيدة(١).

قال الإمام الذهبي: " والاعتزال في حقيقته يحمل خليطاً من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر، فقد جمع المعتزلة بين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج، والرافضة. فقد شاركوا الجهمية في بعض أصولهم، فوافقوهم في إنكار الصفات، فزعموا أن ذات الله تعالى لا تقوم بها صفة ولا فعل، كما سيأتي تفصيله. وقالوا بإنكار رؤية الله تعالى يوم القيامة وقالوا إن القرآن مخلوق إلى غير ذلك. كما شاركوا القدرية في إنكارهم لقدرة الله تعالى في أفعال العباد، وأخذوا عنهم القول بأن العباد يخلقون أفعالهم. كما شاركوا الخوارج في مسألة الإيمان، وقالوا بقولهم إن الإيمان قول، واعتقاد، وعمل، لا يزيد ولا ينقص، وأنه إذا ذهب بعضه زال كلّه"(٢).

ليظهر للناظر أن مذهب المعتزلة، وإن ذهب كمدرسة، إلا أنه لم تخل الأمة من أفراد يرفعون أصواتهم بين الحين والآخر يطالبون بتلك الأفكار لأسباب متنوعة معطين للعقل حجماً أكبر من طاقته مثل سعد زغلول وقاسم أمين، ثم تبع آثارهم من بعدهم، ليلحق بهم محمد عمارة وحسين أحمد أمين وغيرهم. (٣)

---

(١) انظر: الملل والنحل(43/1-44). وانظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص 91-109. وانظر: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، محمد أبو زهرة، ص120-124، دار الفكر العربي- القاهرة- مصر.

(٢) العرش، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق، محمد بن خليفة بن علي التميمي ، الطبعة: الثانية، 1424هـ/2003م، عمادة البحث العلمي بتفسير القرطبية الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (50/1).

(٣) نقض أصول العقلانيين (2/ 38)

الفصل الثاني
محاور الاختلاف بين المعتزلة وأهل السنة
من خلال كتب القرطبي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الصفات الإلهية.

المبحث الثاني: القضاء والقدر.

المبحث الثالث: الغيبيات.

المبحث الأول
الصفات الإلـهية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:
عقيدة السلف و المعتزلة في الصفات الإلـهية.

المطلب الثاني:
نماذج من تأويلات المعتزلة لآيات الصفات، وموقف القرطبي منـها.

المبحث الأول

الصفات الإلهية

المطلب الأول

عقيدة أهل السنة والمعتزلة في الصفات الإلهية

أولًا: عقيدة أهل السنة[1] من الصفات الإلهية، وموقف القرطبي منها.

إن أهل السنة والجماعة يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وطريقتهم في ذلك إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا يعطلون ولا يمثلون، ولا يؤولون.

قال أبو طالب المكِّي [2]: "كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين... وألزمه لسنة السالفين من الصحابة والتابعين"، قال سفيان بن عُيينة[3]: "سأل رجل مالكًا، فقال: على العرش استوى، كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًا، حتى علاه الرُّحَضاء[4]، وما رأينا مالكًا

---

(١) أهل السنة والجماعة: هم الفرقة الناجية الذين أخبر النبي صلى الله عنهم بأنهم يسيرون على طريقته دون انحراف؛ فهم أهل الإسلام المتبعون للكتاب والسنة، المجانبون لطرق أهل الضلال. كما قال صلى الله عليه وسلم: " إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة " فقيل له: ما الواحدة؟ قال: " ما أنا عليه اليوم وأصحابي ". حديث حسن أخرجه الترمذي وغيره.وقد سموا " أهل السنة " لاتباعهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وسموا بالجماعة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم في إحدى روايات الحديث السابق: "هم الجماعة .انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (36 /1)

(٢) أبو طالب المكي هو: محمد بن علي بن عطية، الحارثي المكي صاحب كتاب ياقوت القلوب؛ كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة، ويتكلم في تفسير القرطبي، وله مصنفات في التوحيد، ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس الطبعة: 1، 1971- بيروت، (4/ 303)، الأعلام للزركلي (6/ 274).

(٣) سفيان بن عيينة هو: سفيان بن عُيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدّث الحرم المكيّ، ولد بالكوفة، وسكن مكة، وتوفي بها، كان حافظًا ثقة، واسع العلم، كبير القدر، من مصنفاته: تفسير القرطبي، والتفسير، توفي سنة: (198هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (8/454-475)، ترجمة رقم: (120).

(٤) "الرُّحَضاء": عرق الحمى. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، (103/3)، دار ومكتبة الهلال- القاهرة- مصر.

وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل النا س ينتظرون ما يأمر به ، ثم سُرِّي عنه[١]، فقال: "الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالًا، أخرجوه عني"، فناداه الرجل: يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألتُ عن هذه المسألة أهل البصرة، والكوفة، والعراق، فلم أجد أحدًا وُفق لما وفقتَ له"[٢].

وهذا الذي ذكره الإمام مالك – رحمه الله – في الاستواء ميزان عام لجميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فإن معناها معلوم لنا، وأما كيفيتها فمجهولة لنا؛ لأن الله تعالى أخبرنا عنها، ولم يخبر عن كيفيتها؛ حيث إن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. [٣]

"إن عدم العلم بكيفية صفات الله تعالى لا يقدح في الإيمان بتلك الصفات ومعرفة معانيها؛ لأن الكيفية وراء ذلك، فالسلف يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ويفهمون معاني تلك الصفات، ويفسرونها، فإذا أثبتوا لله تعالى السمع والبصر أثبتوهما حقيقية وفهموا معناهما، وهكذا سائر الصفات يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها"[٤]، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً.

فمن المعلوم يقيناً أنه لا علم للموحد بكيفية صفاته عز وجل لأنه تعالى أخبرنا عن الصفات، ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا في أمر الكيفية قفواً لما ليس لنا به علم، وقولاً

---

(١) "سُرِّي عنه": انكشف عنه الهم. انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص147، ط(5)1420هـ-1999م، المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت – صيدا- لبنان.

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، (39/2)، ط1، الناشر: مطبعة فضالة- المحمدية- المغرب. وانظر: مالك: حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة ، ص 193، ط(2)، دار الفكر العربي- بيروت – لبنان. وانظر: العرش للذهبي (189/1).

(٣) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر- الرياض- السعودية (ص: 49)

(٤) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة: الأولى 1419هـ/1999م، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ص: 103)

بما لا يمكننا الإحاطة به.[١] والسلف يقولون إن معنى هذا الاستواء الوارد في الكتاب والسنة معلوم في اللغة العربية"[٢]

ومعلوم أن ادعاء المعطلة والنفاة أن مذهب السلف إنما هو القول بالتفويض سببه اعتقاد هؤلاء أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر -كان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى- فبقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وبين صرف اللفظ إلى معانٍ بنوع من التكلف. وهذا التردد هو الذي وقع فيه من قال بالتفويض من هؤلاء كالبيهقي والرازي، فهم لم يلتزموا بهذا القول مطلقاً بل غالباً ما يخالفونه كما فعل الرازي في تأسيسه، حيث جنح إلى التأويل وترك القول بالتفويض[٣].

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى. كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات[٤] ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى: ١١] [٥]

"روي عن الإمام الشافعي – رضي الله عنه – أنه سئل عن الاستواء، فقال: آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض غاية الإمساك". [٦] وقال الأوزاعي رحمه اللَّه: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن اللَّه سبحانه على عرشه، ونؤمن بما ورد في السنة من الصفات".[٧]

(١) انظر: العرش للذهبي (1/ 117)

(٢) المرجع السابق (1/ 189)

(٣) انظر: المرجع السابق (1/ 215)

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت (2/ 685)

(٥) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص: 102)

(٦) لوامع الأنوار البهية (1/ 200)

(٧) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (ص: 33)

ولما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمة اللَّه عليهما عن الاستواء قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ومن اللَّه الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق ".(١)

فيدخل في الإيمان بالله الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته، أو أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام من أسماء الله وصفاته ؛ فيصبح الإيمان بأنه رب العالمين، وأنه الخلاق الرزاق، وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته إيماناً ثابتاً استقامة على مذهب السلف رضوان الله عليهم.(٢)

"ويدخل فيه أنه سبحانه وتعالى أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وقدر الأشياء، وعلم بها قبل وجودها سبحانه وتعالى، وأنه على كل شيء قدير، ومن أجمع ما ورد في ذلك من الكتاب العزيز قوله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٢-٥] ، وقوله عز وجل﴿ فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤] الآيات التي تثبت كماله سبحانه، وأنه جل وعلا موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيب، فهو كما أخبر عنه الرسول محمد عليه الصلاة والسلام له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلا". (٣)

فالناظر في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يجد أن الله قد أخبرنا بالصفات ولكنه جل وعلا لم يخبرنا بالكيفية كما أخبرنا جل وعلا بأنه سبحانه لا يمكن أن يحاط به علماً فقال جل وعلا:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وقال جل وعلا: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فمن هنا كثر كلام السلف رضوان الله عليهم في أن الواجب على المسلم أن يؤمن بصفات الله عز وجل بلا كيف، حيث إن عدم العلم بكيفية الصفات لا ينفي الصفات، ولا يقدح في الإيمان بها وإثباتها؛ لأن الله عز وجل

---

(١) أصول الإيمان ، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة ، الطبعة: الخامسة، 1420هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية(ص: 33)

(٢) انظر: أصول الإيمان عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، الطبعة: السنة الحادية عشرة – العدد الثالث – ربيع الأول 1399هـ/1979م، تفسير القرطبية الإسلامية، المدينة المنورة (ص: 58)

(٣) انظر: المرجع السابق (ص: 59)

أخبرنا بالصفة، ولم يخبرنا بالكيفية، وطلب منا الإيمان بها ولا تنافي في ذلك، فإن هناك أشياء عديدة من حولنا نؤمن بها من مخلوقات الله ونحن لا نعرف كيفيتها، منها الروح التي في الإنسان فإن الإنسان عاجز عن معرفة كنهها وحقيقتها مع أن الإنسان يحس ويشعر بها، وقد أخبرنا الله بها في قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥ ، فأخبرنا عن الروح، ولم يخبرنا عن كيفيتها، فكذلك ولله المثل الأعلى صفات الله عز وجل، فجهلنا بكيفيتها لا ينفيها، ولا يقدح في إيماننا بها. [١]

"فليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتشابه الذي يفوَّض معناه؛ لأن اعتبار نصوص الصفات مما لا يفهم معناه يجعلها من الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، والله تعالى قد أمرنا بتدبر القرآن كله، وحضنا على التصديق به وتعقل معانيه، وإذا كانت نصوص الصفات مما لا يفهم معناه؛ فيكون الله قد أمرنا بتدبر وتفهم ما لا يمكن تدبره وتفهمه، وأمرنا باعتقاد ما لم يوضحه لنا، تعالى الله عن ذلك، إذن فمعاني صفات الله تعالى: معلومة يجب اعتقادها، وأما كيفيتها؛ فهي مجهولة لنا، لا يعلمها إلا الله – تعالى"[٢]

"والمعول عليه في فهم النصوص ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عنهم من الفهم الصائب والعلم النافع، وقد فهموا معاني ما خوطبوا به من صفات الله عز وجل؛ لأن الكتاب والسنة بلغتهم، مع تفويضهم علم كيفياتها إلى الله عز وجل؛ لأن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه" [٣]

فصفات الرب لا تشبه صفات المربوبين، كما لا تشبه ذاته ذوات المحدثين، تعالى الله عما يقول المعطلة، والمشبهة علواً كبيراً. [٤]

وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك؛ بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف

(١) انظر: قول الفلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة: العدد 120 – السنة 35 – 1423هـ/2003م، تفسير القرطبية الإسلامية بالمدينة المنورة (ص: 199).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الطبعة: الرابعة 1420هـ – 1999م، دار ابن الجوزي، (ص: 150) بتصرف.

(٣) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، ط(1)1424هـ-2003م، دار الفضيلة- الرياض- السعودية، (ص: 169).

(٤) انظر: اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث (ص: 118).

الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى.(١)

"فتأويل الصفات هي الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول» فالاستواء معلوم يعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى". (٢)

"وأما ما يعلم من الاستواء وغيره فهو من التفسير الذي بينه الله ورسوله والله تعالى، قد أمرنا أن نتدبر القرآن، وأخبر أنه أنزله لتعقله، ولا يكون التدبر والعقل إلا لكلام بين المتكلم مراده به." (٣)

موقف الإمام القرطبي من الصفات الإلهية:

وأما عقيدة الإمام القرطبي قد بينها الباحث سابقاً في المطلب الرابع، والذي تناول "عقيدة الإمام القرطبي ومنهجه " إلا أنني أتناول هنا موقف الإمام من الصفات الإلهية في باب الأسماء والصفات، فقد ذهب إلى ما ذهبت إليه الأشاعرة في هذا الباب، ويظهر ذلك لمن تتبعه في كتبه كالتفسير والأسنى والتذكرة، كما أن عمدته في عقيدة الأسماء والصفات هي أقوال أئمة الأشاعرة كالجويني والأسفراييني والرازي وابن عطية وغيرهم ، والإمام القرطبي في تفسيره تبع منهج المؤولة في الصفات، ونقل كلامهم.(٤)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الطبعة:الأولى، 1426هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (1/ 173).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الطبعة الثانية 1425هـ / 2004م، دار الصميعي، الرياض(ص: 291).

(٣) درء تعارض العقل والنقل ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: الدكتور محمد سالم الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية. (1/ 278).

(٤)انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ص1576 بتصرف.

ثانيًا: عقيدة المعتزلة في الصفات الإلهية إجمالاً.

إن المعتزلة الذين نجدهم يمجدون العقل أكثر من تمجيدهم لنصوص الوحي _ القرآن والسنة_ ليس غريباً عليهم أن يكونوا مبتدعة جاهليين، حيث صدق قول القائل فيهم: "وأكث ر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين، فقد تكلموا في الصفات الإلهية بما لم يُنْزِل الله به من سلطان، وأوَّلوا نصوص الشريعة بما تهواه أنفسهم (١) "**فلم يقفوا عند النصوص ليكونوا متبعين بل كانوا مبتدعين مخالفين لمنهج الحق والدين، حيث وصل المعتزلة لضلالهم من خلال قواعد أهمها:**

القاعدة الأولى: "القول بنفي صفات الله تعالى ذاتية أو فعلية، بحيث لا يبقى إلا الوجود الذهني، فيسمون ذلك توحيداً." (٢)

والتنزيه في نظرهم نفي صفات الكمال، وصفات الله كلها صفات كمال وتعطيل البارئ عما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله المصطفى مثل: السمع والبصر والعلم والعلو والمجيء لفصل القضاء يوم القيامة، فهو عكس التنزيه الصحيح؛ لأنه إثبات تلك الصفات التي سبق ذكرها وغيرها من الصفات التي نطق بها الكتاب والسنة، وفي نظرهم يكون كل من يثبت صفات الله هو مجسم ومشبه ممثل، والموحد عندهم هو ذلك الجريء الذي ينفي جميع الصفات بدعوى أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء.(٣)

و نجد بذلك أن المعتزلة أثبتوا الذات مجردة عن الصفات، وزعموا أن الله لا يقوم به صفة ولا أمر يتعلق بمشيئته واختياره ، وهو قولهم: لا تحله الأعراض ولا الحوادث.

---

(١) انظر: فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي تقديم وتعليق: علي بن مصطفى مخلوف، الطبعة: الأولى، 1422هـ. (ص: 155)

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: 1415هـ)، الناشر: المجلس العلمي بتفسير القرطبية الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408هـ .(ص: 139).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص: 143).

وبذلك نفوا قيام الصفات الذاتية والفعلية بالله تعالى، وجعلوا إضافة الصفات إلى الله تعالى إما من باب إضافة الملك والتشريف أو من إضافة وصف (أي القول) من غير قيام معنى بها الأمر الذي يعني التأويل.(١)

وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة، أو التناقض نافين بذلك أصل الأسماء والصفات معتقدين بقولهم هذا في التوحيد هو التنزيه لله تعالى عن خلقه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. (٢)

"فقالت المعتزلة ومن وافقهم إنه تعالى عليم بذاته بصير بذاته سميع بذاته لا بعلم وسمع وبصر وهكذا بقية الصفات قد أثبتوا المشتق بدون المشتق منه؛ فرارا من تعدد القدماء مع الله تعالى محتجين بما يطول تقريره قائلين: لا يخبر عنه تعالى بما يخبر به عن شيء من خلقه إلا أن يأتي نص بشيء من ذلك، فيوقف عنده وما لا فلا؛ ولأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز، وكل متحيز فجسم مركب أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مشبه."(٣)

اختلف النظار_من المعتزلة_ في صفات الباري عز وجل، أهي عين ذاته تعالى، أم غير ذاته المقدسة؟ وبهذه الشبهة نفت المعتزلة الصفات عن الذات؛ لأنهم قالوا: إما أن تكون الصفات حادثة، فيلزم قيام الحوادث بذاته، وخلوه تعالى في الأزل عن العلم والقدرة والإرادة والحياة، وغيرها من الكمالات، وصدورها عنه تعالى بالقصد والاختيار أو بشرائط حادثة، والجميع باطل بالاتفاق، وإما أن تكون قديمة، فيلزم تعدد القدماء، وهو كفر بإجماع المسلمين، وقد كفر النصارى بثلاثة قدماء، فكيف بالأكثر.

والجواب إنما المحظور في تعدد القدماء المغايرة، ونحن نمنع تغاير الذات مع الصفات، والصفات بعضها مع بعض، فينتفي التعدد والتكثر، ولئن سلم ما زعموا من تعدد القدماء، فالممتنع تعدد القدماء إذا كانت ذواتا مستقلة لا تعدد ذات وصفات لها، فهذا مباين لقول النصارى، كما لا يخفى عن ذي بصيرة. (٤)

(١) انظر: الصفا ت الإلهية تعريفها ، أقسامها ، محمد بن خليفة بن علي التميمي ، الطبعة: الأولى1422هـ/2002م، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.(ص: 67)

(٢) انظر: شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (2/ 793)

(٣) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص: 67)

(٤) انظر: لوامع الأنوار البهية (1/ 217)

وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا. وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء، فلله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد. فقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: [١٢ – ١٦] وقال تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى *الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى *وَالَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى* فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ١–٥]

ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء. (١)

نماذج من الشبهات العقلية للمعتزلة على اتصاف الله بالصفات عمومًا، والكلام خصوصًا:

(1) قالوا ما معناه: إذا وصفنا الله تعالى بصفات عديدة، كصفة الكلام و العلم والسمع ، وقلنا كلها قديمة أزلية، لزم تعدد القدماء، وقد كفرت النصارى بالتثليث، فكيف بهذه الصفات العديدة؟ والجواب:

إنه لا ينبغي لمن كان مسلمًا مؤمنًا أن ينكر ما ثبت للَّه في النقل الصحيح بمثل هذه التشكيكات القبيحة، بل عليه الإيمان والتسليم، واتهام عقله بأن يدرك كنه ذاته تعالى أو صفاته، فإذا كان لا يدرك كنه كثير من المخلوقات كالروح والعقل، فكيف يمكنه أن يدرك كنه اللَّه أو صفاته؟ وإذا كان لا يدرك، فهل ينكر؟ لا بل يجب أن يؤمن ويسلم؛ لأن الشرائع لا تأتي بما يحيله العقل، بل بما يدركه أو يحير فيه وأي عاقل يقول: إذا كنا لا ندرك حقيقة الروح والعقل والكهرباء، يجب علينا أن ننكرها. وثانيًا: يلزم تعدد القدماء لو قلنا بتعدد الذوات، أما تعدد الصفات لذات واحدة، فلا يلزم ذلك، وليس فيه محذور. (٢)

حيث إن الناظر في حقيقة الأمر يجد أن الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة(٣) وغيرهم يبنون على هذا، وقد يسمون أنفسهم الموحدين، ويجعلون نفي الصفات داخلاً في مسمى التوحيد، ومبنى ذلك على أصل واحد، وهو أنهم سموا أقوالهم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، إن هي

---

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2001م، الناشر: تفسير القرطبية الإسلامية، المدينة المنورة (ص: 9)

(٢) انظر: نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين، أحمد بن حجر بن سعدون آل بوطامي البنعلي، الطبعة: 1400 هـ – 1980 م، الناشر: مكتبة ابن تيمية – الكويت. (ص: 129،128) بتصرف.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (3/ 94) بتصرف.

إلا أسماء سموها هم وآباؤهم، وجعلوا مسمى الأسماء الواردة في الكتاب والسنة أشياء أخر ابتدعوها هم؛ فألحدوا في أسماء الله وآياته، وحرفوا الكَلِم عن مواضعه، وقد ذكر تلبيسهم وتحريفهم وإلحادهم أئمة السلف والخلف يفسرون الاستواء بالاستيلاء والفوقية بالقهر، واليد بالنعمة، وما أشبه ذلك. ويفسرونها بتفسير المُشَبِّهَة، الذين يقولون: استوى كاستواء المخلوق على سريره، ويفسرون اليد بالجارحة كجارحة المخلوق[١].

"فكل هذا من التفسير المردود المُبْتَدَع المُحْدَث في الدين، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف بإسناد صحيح ولا ضعيف، حتى إن المخالفين لهم في ذلك يقرون بأن مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها إمرارها كما جاءت، من غير تعرض لتفسير أو تأويل، مع نفي التشبيه عنها، ويقولون: هذا أسلم". [٢]

(2) أهل التأويل من الجهمية وغيرهم الذين أوّلُوا نصوص الصفات إلى معانٍ عينوها، كتأويلهم اليد بالنعمة، والاستواء بالاستيلاء، ونحو ذلك. [٣]

"والأصل في ذلك أنه تعالى لو كان يستحق هذه الصفات لمعانٍ قديمة، وقد ثبت أن القديم إنما يخالف مخالفه بكونه قديماً، وثبت أن الصفة التي تقع بها المخالفة عند الافتراق، بها تقع المماثلة عند الاتفاق، وذلك يوجب أن تكون هذه المعاني مثلاً لله تعالى، حتى إذا كان القديم تعالى عالماً لذاته، قادراً لذاته، وجب في هذه المعاني مثله، ولوجب أن يكون الله تعالى مثلاً لهذه المعاني".[٤]

(١) انظر: المرجع السابق (3/ 95)

(٢) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل النجدية، ج1، القسم الأول، ص: 101).

(٣) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص: 111)

(٤) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د/ عبد الكريم عثمان، ط(3)1416هـ- 1996م، مكتبة وهبة- القاهرة – مصر(ص: 195).

المطلب الثاني

نماذج من تأويلات المعتزلة لآيات الصفات وموقف القرطبي منها

إن السلف الصالح يعتقدون أن الله تبارك وتعالى ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وأنه على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه الكريم ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] فلا تجدهم يقدمون بين يدي الله تعالى في القول، بل يقولون استوي بلا كيف، وأن له وجهاً كما قال تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧] و أن له يدين كما قال تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]وأن له عينين كما قال تعالى ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:١٤]وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]فلم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوهفي الكتاب أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) في سنته المطهرة.

أولًا: الصفات الذاتية :

١) الوجه.

يقول عبد الجبار الهمذاني،[٢] وقد تعلقوا [أي المجسمة[٣]] بقوله تعالى﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨] قالوا : فأثبت لنفسه الوجه ، وذو الوجه لا يكون إلا جسماً .

وجوابنا : عن هذا إن المراد به : كل شيء هالك إلا ذاته ، أي نفسه والوجه بمعنى الذات مشهورٌ في اللغة ، يقال وجه هذا الثوب جيد، أي ذاته جيدة ولو كان الأمر على ما ذكروه للزم أن ينتفي كل شيء منه إلا الوجه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.(٤)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2/ 536) بتصرف.

(٢)عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الاسد أبادي توفي 415هـ، أبو الحسين :قاض، أصولي.كان شيخ المعتزلة في عصره.وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره.ولي القضاء بالري، ومات فيها.له (شرح الأصول الخمسة) و (المغني في أبواب التوحيد والعدل)، الأعلام (273/3).

(٣) يقصد بهم أهل السنة والجماعة الذين يثبتون لله تعالى الأسماء والصفات كما يسميهم أهل الكلام بالحشوية أيضاً.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ص227.

و قال أهل التأويل من المعتزلة والمتكلمين إن الوجه يراد به الذات المقدسة، فأما كونه صفة الله فلا، وزعموا أنه يروى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: الوجه عبارة عنه عز وجل، كما قال تعالى [١] ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧] وهنا يظهر موقف القرطبي رحمه الله من قول المعتزلة، ليظهر رفضه لما ذهبوا إليه قائلاً" وقال بعض الأئمة: تلك صفة ثابتة بالسمع زائدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى. قال ابن عطية: وضعف أبو المعالي هذا القول، وهو كذلك ضعيف، وقيل: المعنى فثم رضا الله وثوابه، كما قال:" إنما نطعمكم لوجه الله" أي لرضائه وطلب ثوابه.[٢]ويقول في موضع آخر عند قول الله تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧] أي ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه، قال الشاعر:

قضى على خلقه المنايا ... فكل شي سواه فاني

وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا: ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم. [٣]

وقوله تعالى:﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرَّحمن:٢٧] ، وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]

الآيات السابقة فيها إثبات صفة الوجه لله تعالى، وأهل السنة والجماعة جروا في هذا النوع من الصفات كما هو حالهم في بقية صفات الله عز وجل: يثبتونها له سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.[٤]

٢) العين.

صفة العين من الصفات التي يثبتها السلف لله تبارك وتعالى ، وهي ثابتةٌ له جل وعلا من غير تمثيل ولا تشبيه ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج.[٥] ومنها قوله تعالى:﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه:٣٩] حيث قال النفاة:" فأثبت لنفسه العين ، وذو العين لا يكون

(١) لوامع الأنوار البهية (1/ 226)
(٢) تفسير القرطبي (2/ 84)
(٣) تفسير القرطبي (17/ 165)
(٤) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح (7/ 75) بتصرف.
(٥) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د/ فوقية حسين محمود، ط(1)1397هـ، دار الأنصار – القاهرة – مصر. (ص: 22)

إلا جسماً، والأصل في الجواب عن ذلك : أن المراد به لتقع الصنعة على علمي ، والعين قد تورد بمعنى العلم ، يقال : جرى هذا بعيني؛ أي جرى بعلمي، ولولا ما ذكرناه، وإلا لزم أن يكون لله تعالى عيون كثيرة، لأنه قال بأعيننا، والمعلوم خلاف ذلك". (١)

وقالت المعتزلة في قول الله تعالى :﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر:١٤] أي بعلمنا(٢)"وقد يرجع معنى الأعين في هذه الآية وغيرها إلى معنى عين، كما قال:" ولتصنع على عيني" وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة، وهو سبحانه منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف، لا رب غيره. وقيل: المعنى" بأعيننا" أي بأعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على حفظك ومعونتك، فيكون الجمع على هذا التكثير على بابه. وقيل:" بأعيننا" أي بعلمنا، قاله مقاتل: وقال الضحاك وسفيان:" بأعيننا" بأمرنا. وقيل: بوحينا. وقيل: بمعونتنا لك على صنعها." (٣)

أما قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطُّور:٤٨] أي بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. والمعنى واحد. ومنه قول الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه:٣٩] أي بحفظي وحراستي. (٤)

٣) اليد.

المعتزلة وأهل الكلام أيضاً ذهبوا إلى تأويل صفة اليد لله تعالى، حيث يقول شارح كتاب الأصول الخمسة "وقد تعلقوا [أي المجسمة] بقوله تعالى :﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ ﴾ [ص:٧٥] قالوا : فأثبت لنفسه اليدين، وهذا يدل على كونه جسماً، والجواب عنه : أن اليدين هاهنا بمعنى القوة ، وذلك ظاهر في اللغة يقال : مالي على هذا الأمر يدٌ ؛ أي قوة ، فإن قالوا فما وجه التشبيه إذ ن ؟ قلنا : إن ذلك مستعمل في اللغة ، على عادتهم من وضع المثنى مكان المفرد، وعلى هذا قال الشاعر:

فقالا شفاك الله والله مابنا لما حملت منك الضلوع يدان.

(١) شرح الأصول الخمسة ص227

(٢) العرش للذهبي (2/ 377)

(٣) تفسير القرطبي (9/ 30)

(٤) انظر: تفسير القرطبي (17/ 78)

ثم يذهب شارح الأصول الخمسة إلى قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ....﴾ [المائدة: ٦٤] وقول الله تعالى (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) فيقول إن اليد هاهنا بمعنى النعمة ، وذلك ظاهرٌ في اللغة ، يقال : لفلان عليَّ يدٌ، أي منة ونعمة. (١)

ويقول صاحب كتاب الفصل بين الملل والأهواء والنحل، والذهبي في كتابه العرش ذهبت المعتزلة إلى أن اليد النعمة.(٢)

أما القرطبي رحمه الله يقول في قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] " لما خلقت بيدي" فلا يجوز أن يحمل على الجارحة؛ لأن الباري جل وتعالى واحد لا يجوز عليه التبعيض، ولا على القوة والملك' ويقول عند قوله تعالى :﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]أي مما عملنا نحن (٣)

"وتكون اليد أيضاً بمعنى الجارحة ومنه قوله تعالى:﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]وقوله في الآية [بيده] عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته، يقال: ما فلان إلا في قبضتي بمعنى: ما فلان إلا في قدرتي. والناس يقولون: الأشياء في قبضة الله يريدون في ملكه وقدرته، وقد يكون معنى القبض والطي: إفناء الشيء وإذهابه".(٤)
أما السلف الصالح رضي الله عنهم فيقولون في قول الله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] وقوله تعالى ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ...﴾ [المائدة: ٦٤]

تضمنت هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيديه.

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص228.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي– القاهرة –مصر.(2/ 127)، العرش للذهبي (2/ 377)

(٣) تفسير القرطبي (6/ 238)

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 469).

ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة؛ فإن الأشياء جميعاً، حتى إبليس خلقها الله بقدرته، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها و لفظ اليدين بالتثنية لم يعرف استعماله إلا في اليد الحقيقية أيضاً، ولم يرد بمعنى القدرة أو النعمة قط؛ فإنه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين.

وفي الآية الثانية يحكي ربنا مقالة اليهود (قبحهم الله)، ووصفهم لخالقهم_ حاشاه _ بأن يده مغلولة؛ أي: ممسكة عن الإنفاق، ثم أثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوا، وهو أن يديه مبسوطتان بالعطاء، ينفق كيف يشاء، كما جاء في الحديث: "عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وقال: عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع)" (١)

ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيق ة، هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين؟! ألا شاهت وجوه المتأولين" (٢)

4) العلم:

قد سبق الإشارة إلى أن موقف المعتزلة من الصفات: "تأويلُها عما دلّت عليه، كما فعلت المعتزلة، فإنهم يُثبتون الأسماء، ولكنّهم ينفون معانيها وما تدل عليه من الصّفات.لأنّ هذه الأسماء كلٌّ اسم منها يدلّ على صفة؛ {الرحمن} يدلّ على الرحمة، {الغفور} يدلّ على المغفرة، {العزيز} يدلّ على العزّة والقوة والمَنَعة والغَلَبة، وهكذا، كلُّ اسم يُشتَقُّ منه صفة من صفات الله تعالى: {السميع} يدلّ على السمع، {البصير} يدلّ على البصر، {العليم} يدلّ على العلم، {القدير} يدلّ على القدرة، وهكذا، كلُّ اسم منها يدلُّ على صفة. فالذي لا يُثْبِتُ الصّفات مُلحدٌ في أسماء الله. لأنّه جحد معانيها، وجعلها ألفاظاً مجرَّدة لا تدلّ على شيء"(٣)، فقالوا: " سميع بلا سمع بصير بلا بصر، وأطردوا جميع أسمائه هكذا، فأثبتوا أسماء ونفوا ما تتضمنه من صفات الكمال،

---

(١) تفسير القرطبي المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "صحيح البخاري"، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {لما خلقت بيدي} ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط1، 1422هـ، ج9، ص122، ح7411.

(2) شرح العقيدة الواسطية ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: 1395هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف ، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر(ص115 ،116،117).

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط(3)1423هـ- 2002م، مؤسسة الرسالة- بيروت – لبنان. (2/ 212)

وهو عبارة عن إثبات الألفاظ دون المعاني، وقولهم في الحقيقة راجع إلى قول الجهمية مخالف كل منهما للكتاب والسنة والعقول الصحيحة والفطر السليمة، وهدى الله تعالى بفضله أهل السنة لفهم كتابه، وآمنوا بما وصف به نفسه، وأقروا به كما أخبر، ونفوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قوله عز وجل: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}"(١) فهم "موافقون على العالمية دون العلمية"(٢).

والإمام القرطبي قد أثنب هذه الصفة، ورد على المعتزلة، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]

يقول : "قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي بما خلق، وهو خالق كل شي، فوجب أن يكون عالماً بكل شيء، **وقد قال الله تعالى** ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

فهو العالم والعليم بجميع المعلومات بعلم قديم أزلي واحد قائم بذاته، ووافقنا المعتزلة على العالمية دون العلمية. وقالت الجهمية: عالم بعلم قائم لا في محل، تعالى الله عن قول أهل الزيغ والضلالات، والرد على هؤلاء في كتب الديانات. وقد وصف نفسه سبحانه بالعلم فقال سبحانه وتعالى ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤] وقال الله تعالى ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف:٧] وقال سبحانه ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] ، وقال:" وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو" [الأنعام: 59] الآية(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط(1)1410هـ-1990م، دار ابن القيم- الدمام- السعودية.(1/ 237).

(٢) غاية المرام في علم الكلام ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي تحقيق، حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة. (ص: 76)

(٣) تفسير القرطبي (1/ 261)

يقول: "وقوله:" ولا يريد بكم العسر" هو بمعنى قوله" يريد الله بكم اليسر" فكرر تأكيداً. الرابعة عشرة- دلت الآية على أن الله سبحانه مريد بإرادة قديمة أزلية زائدة على الذات. هذا مذهب أهل السنة، كما أنه عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام. وهذه كلها معان وجودية أزلية زائدة على الذات. وذهب الفلاسفة والشيعة إلى نفيها، تعالى الله عن قول الزائغين وإبطال المبطلين. والذي يقطع دابر أهل التعطيل أن يقال: لو لم يصدق كونه ذا إرادة لصدق أنه ليس بذي إرادة، ولو صح ذلك، لكان كل ما ليس بذي إرادة ناقصاً بالنسبة إلى من له إرادة، فإن من كانت له الصفات الإرادية، فله أن يخصص الشيء وله ألا يخصصه، فالعقل السليم يقضي بأن ذلك كمال له وليس بنقصان، حتى إنه لو قدر بالوهم سلب ذلك الأمر عنه، لقد كان حاله أولاً أكمل بالنسبة إلى حاله ثانياً، فلم يبق إلا أن يكون ما لم يتصف أنقص مما هو متصف به، ولا يخفى ما فيه من المحال، فإنه كيف يتصور أن يكون المخلوق أكمل من الخالق، والخالق أنقص منه، والبديهة تقضي برده وإبطاله".(١)

٤) الحياة:

ذهبت المعتزلة والفلاسفة إلى إنكار الصفات. وقالوا: القديم ذات واحدة قديمة، ولا يجوز إثبات ذوات قديمة متعددة، وإنما الدليل يدل على كونه عالماً قادراً حياً لا على العلم والقدرة والحياة(٢).

فقال أبو الحسين البصري من المعتزلة: حياته صحة العلم والقدرة، فمعنى كونه حياً أنه يصح أن يعلم ويقدر. (٣)

أما عن موقف الإمام القرطبي من هذه الصفة، فيثبتها، حيث يقول في تفسيره قول الله تعالى:

﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

---

(١) تفسير القرطبي (2/ 301)

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي ، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. (ص: 75)

(٣) لوامع الأنوار البهية (1/ 132)

"(الحي القيوم) نعت لله عز وجل، وإن شئت كان بدلاً من" هو"، وإن شئت كان خبراً بعد خبر، وإن شئت على إضمار مبتدءٍ ويجوز في غير القرآن النصب على المدح. و" الحي" اسم من أسمائه الحسنى يسمى به، ويقال: إنه اسم الله تعالى الأعظم". (١)

ثانيًا: الصفات الفعلية:

١) الاستواء.

ذهب المعتزلة إلى أن الاستواء يقصد به القيام، والانتصاب، والانتصاب والقيام من صفات الأجسام، الأمر الذي يعني أن يكون الله تعالى جسماً ، وتنزيهاً لله تعالى ذهب المعتزلة إلى التأويل، ليقولوا إن الاستواء بمعنى الاستيلاء، والغلبة ، وذلك مشهور في اللغة، حيث يقول الشاعر :

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهُمُ صرعى لنسرٍ وكاسر.(٢)

ويقول صاحب كتاب العرش وصاحب كتاب العلو قالت المعتزلة: استوى على العرش بمعنى: استولى. (٣)

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية(٤) والحرورية(٥):" إن معنى قول الله تعالى:﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ** اسْتَوَى﴾ [طه:٥] أنه استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة".(٦)

---

(١) تفسير القرطبي (3/ 271)

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص(226)

(٣) انظر: العرش للذهبي (2/ 377)، العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض.(ص: 218)

(٤) الجهمية:إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالى وأسمائه، وترجع في نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي، الذي كان له ولأتباعه في فترة من الفترات شأن وقوة في الدولة الإسلامية حيناً من الدهر .انظر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية (6/ 417)

(٥) الحرورية:نسبة إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا علي رضي الله عنه. انظر معجم البلدان – م (2/ 245) ، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية (4/ 337).

(٦) الإبانة عن أصول الديانة (ص: 108).

وكذلك نقل هذا المعنى عن المعتزلة صاحب كتاب بيان تلبيس الجهمية ، حيث يقول "وقالت المعتزلة إن الله استوى على عرشه بمعنى استولى، وقال بعض الناس الاستواء القعود والتمكن"[١]

والاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار. قال الجوهري: واستوى من اعوجاج، واستوى على ظهر دابته، أي استقر. واستوى إلى السماء أي قصد. واستوى أي استولى وظهر. قال:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وحكى أبو عمر بن عبد البر[٢] عن أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] قال: علا. قلت: فعلوا الله تعالى وارتفاعه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته. أي ليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه، لكنه العلي بالإطلاق سبحانه. قوله تعالى: (على العرش) لفظ مشترك يطلق على أكثر من واحد. قال الجوهري وغيره: العرش سرير الملك. وفي التنزيل" نكروا لها عرشها.[٣]

ثم يذكر القرطبي في كتابه التذكرة عند تعليقه على حديث العلو فيقول " وأما قوله في الحديث حتى ينتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى " فالمعنى أمر الله وحكمه وهي السماء السابعة التي عندها سدرة المنتهى التي إليها يصعد ما يعرج به من الأرض ومنها يهبط ما ينزل به منها". [٤]

(ثم استوى على العرش) هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام وإجراء.وقد بينا أقوال العلماء فيها في كتاب (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى) وذكرنا فيها هناك أربعة

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2/ 536).

(٢) هو عدي بن ثابت بن عبيد بن عازب والبراء عم أبيه وكذا قال بن حبان في الثقات في ترجمة ثابت وقال جماعة من النسابين منهم الطبري والكلبي والمبرد وابن حزم أنه عدي بن ثابت بن قيس بن الخطيم الظفري . انظر تهذيب التهذيب (2/ 20).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (7/ 220)

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 225،226)

عشر قولاً. والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيز، والتغير والحدوث. هذا قول المتكلمين. وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك؛ لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته.(١)

٢) النزول.

قال ابن عبد البر في حديث النزول: " هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته... وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قال السلف وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش والدليل على صحة قول أهل السنة هو قول الله عز وجل ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥] وقوله عز وجل ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤].(٢)

ويتأول القرطبي في قوله عليه الصلاة والسلام: " عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مضى شطر الليل، أو ثلثاه، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل يعطى؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ حتى

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (7/ 219)

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، عام النشر: 1387 هـ،الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.(7/ 128–129).

ينفجر الصبح)" فيقول (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) على أحد الوجوه: نزول إجمال وقبول وإحسان (١)

وليس المراد توليه لهذه الأفعال وتصديه لهذه الأعمال، ولكن المقصود صدورها عن أمره، وقد ورد في صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد، فيخاطبون أهل التقى والرشاد: ألا إن فلان ابن فلان كما تقدم.

ومثله ما جاء في حديث النزول مفسراً ما أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر منادياً يقول: هل من داعٍ يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى؟» صححه أبو محمد عبد الحق، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء، فهذا التأويل فيه وأن ذلك من باب حذف المضاف.(٢)

٣) الرضى:

حيث يقول الله تعالى ﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩]

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومعناه: رضى عنهم لأعمالهم وَرَضُوا عَنْهُ لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية(٣)

فللمعتزلة يؤولوا الغضب والرضى بالثواب والعقاب نفسه؛ لأنهم لا يثبتون صفة الإرادة للرب جل وعلا. (٤)

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، ج1، ص522، ح758.

(٢) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 649) أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى، كتاب: الأذكار، باب: الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار، (9/ 180/10243)

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.(2/ 305)

(٤) شرح الطحاوية لخالد المصلح (20/ 5)

وقوله تعالى:﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزُّمر:٧] أي يرضى الشكر لكم؛ لأن" تشكروا" يدل عليه. ويرضى بمعنى يثيب ويثني، فالرضى على هذا إما ثوابه، فيكون صفة فعل"﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧] وإما ثناؤه فهو صفة ذات.[١]

4) الكره:

" الكره" من صفاته تبارك وتعالى: ومن أدلة هذه الصفة: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [التوبة:٤٦] فهو سبحانه يبغض ويكره، يكره أشخاصاً ويكره أعمالاً، فنحن نؤمن بذلك كما وصف نفسه بذلك في كتابه العزيز[٢].

فإن المعتزلة وافقت أهل السنة على تقرير الكراهة على ظاهرها، وهذا يلزمهم الموافقة على تقرير المحبة من غير تأويل.

وهم ظنوا أن المحبة تستلزم الشهوة، وأن الكراهة لا تستلزم النفرة، وهذا كله تحكم، فإنهم إن رجعوا إلى قياس الخالق على المخلوقين، لزمهم منع الكراهة؛ لأنها في المخلوقين تستلزم النفرة، بل منع الإرادة قول البغدادي منهم؛ لأنها في المخلوقين تستلزم الحاجة وتلازمها[٣].

قالت المعتزلة البصرية: الآية دالة على أنه تعالى كما هو موصوف بصفة المريدية هو موصوف بصفة الكارهية[٤].

أما القرطبي فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء:٣٨] يقول: " قوله تعالى: (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) " ذلك" إشارة إلى جملة ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه." ذلك" يصلح للواحد والجمع والمؤنث والمذكر. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ومسروق" سيئه" على إضافة سيئ إلى الضمير، ولذلك قال:" مكروهاً" نصب على خبر

---

(١) تفسير القرطبي (15/ 237)

(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص: 160)

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (5/ 401-402).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري الطبعة: الثالثة - 1420 هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.(16/ 62)

كان. والسيء: هو المكروه، وهو الذي لا يرضاه الله عز وجل ولا يأمر به. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآي من قوله:" وقضى ربك"- إلى قوله- كان" سيئه" مأمورات بها ومنهيات عنها، فلا يخبر عن الجميع بأنه سيئة، فيدخل المأمور به في المنهي عنه"(١)

5) الغضب:

أنكو النفاة من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم صفتي المحبة والغضب ، قالوا: لأن المحبة رقة في القلب، تستدعي الميل إلى المحبوب، ولأن الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، وهذه الأحوال إنما تناسب المخلوق.

وتأولوا الرضى والمحبة: بالإكرام، والنصر، والثواب، وتأولوا الغضب والكراهة والسخط: بأنه العقاب، ونحو ذلك مما هو صرف للقرآن والسنة عما هو المتبادر منهما إلى أفهام المخاطبين(٢). فالمعتزلة يرجعونها إلى نفس الثواب والعقاب.(٣)

أما الإمام القرطبي فيثبت صفة الغضب لله تعالى، فيقول في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] "فإن قيل: إن قوله تعالى: (فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه) دليل على كفره، لأن الله تعالى لا يغضب إلا على كافر خارج من الإيمان. قلنا: هذا وعيد، والخلف في الوعيد كرم"(٤).

وقد فسر الغضب في تفسيره قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١] بقوله: " وغضب الله عقابه ونقمته وعذابه."(٥)

---

(١) تفسير القرطبي (10/ 262)

(٢) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ط(1)1416هـ-1995م، دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض- السعودية. (ص: 72)

(٣) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: 109)

(٤) تفسير القرطبي (5/ 334)

(٥) تفسير القرطبي (11/ 231)

المبحث الثاني: القضاء والقدر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

عقيدة أهل السنة والمعتزلة من القضاء والقدر

وموقف القرطبي منها.

المطلب الثاني:

نماذج من أراء المعتزلة في القضاء والقدر

وموقف القرطبي منها.

المبحث الثاني

القضاء والقدر

المطلب الأول

عقيدة أهل السنة والمعتزلة من القضاء والقدر وموقف القرطبي منها

أولًا: عقيدة أهل السنة(السلف) من القضاء والقدر:

مما يجمع عليه علماء السلف رضي الله عنهم الإيمان بالقضاء والقدر، مجمعين على وجوب الإيمان به إذ أنه ما في شيء في هذا الكون إلا وهو مخلوق بقدر الله عز وجل، حيث يقول جل جلاله" ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩] وتصديقاً لما جاء عن الحبيب ﷺ في الأحاديث الصحيحة، ويبين هنا الباحث ما يتعلق بهذا الركن من أركان الإيمان وفق التالي:

معنى القضاء والقدر لغة وشرعاً وحكمه.

المعنى اللغوي للقضاء:

القضاء في اللغة له معان عديدة منها: الحكم، والأمر، والأداء، والخلق، وإنفاذ الأمر وبلوغ منتهاه فمادة [قضي] ق ض ي : "القَضَاءُ الحكم والجمع الأَقْضِيَةُ و القَضِيَّةُ مثله والدمع القَضَايَا و قَضَى يقضي بالكسر قَضَاءً، أي حكم ومنه قوله **تعالى** ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾ [الإسراء:٣٤] وقد يكون بمعنى الفراغ تقول قَضَى حاجته وضربه فَقَضَى عليه أي قتله كأنه فرغ منه و قَضَى نحبه مات، وقد يكون بمعنى الداء والنهاء تقول: قضى دينه ومنه قوله **تعالى** ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٥] وقوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر:٦٦] أي أنهيناه إليه، وأبلغناه ذلك"(١)

(١) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط(5)1420هـ-1999م، المكتبة العصرية- بيروت – صيدا- لبنان (ص: 560)، المعجم الوسيط (2/ 743) مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى وآخرين الناشر: دار الدعوة

المعنى اللغوي للقدر:

القدر في اللغة: من القدر بسكون الدال، ومن القدر بفتح الدال، وتأتي على معان منها: القوة، ومقدار الشيء، والتمكن من الأمر، والغنى، وقياس الشيء. كما تأتي كلمة القدر بمعنى. مبلغ الشيء، والقضاء، والوسط من كل شيء.(١)

ويذكر صاحب كتاب الفروق اللغوية الْفرق بَين الْقدر وَالتَّقْدِير ليقول" أن التقدير يسْتَعْمل فِي أَفعَال الله تَعَالَى وأفعال الْعباد وَلَا يسْتَعْمل الْقدر إِلَّا فِي أَفعَال ا لله عز وَجل وَقد يكون التَّقْدِير حسناً وقبيحاً كتقدير المنجم موت زيد وافتقاره واستغناءه، وَلَا يكون الْقدر إِلَّا حسناً"(٢)

إن من خلال ما سبق من تعريف القضاء والقدر في اللغة يتبين مدى العلاقةِ بينهما ، فكلٌّ مِن القضاء والقدر يأتي بمعنى الآخر، فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام الشيء وإتقانه. ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، نحو ذلك.

المعنى الشرعي للقضاء والقدر:

إن معنى القضاء والقدر في الشرع قد يأتي على معنى واحد، وهو: ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد ووقوعه في وقته وكيفيته.

وقد يراد بالقدر ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، أما القضاء فيراد به وقوع الأمر وإنفاذ الحكم وفق القدر السابق، فيكون بذلك القدر كالمخطط الذي يخططه الإنسان لبناء بيت مثلاً، والقضاء كالبناء للبيت إذا بناه وفق سابق التخطيط.(٣)

ويذكر صاحب كتاب قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر أن الإيمان بالقضاء والقدر واجب ، خيره وشره، وحلوه ومره، وأنه من الله تعالى، ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر شيء إلا عن تدبيره وقضائه، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، خلق من شاء للسعادة، واستعمله بها فضلاً، وخلق من أراد للشقاوة، واستعمله بها عدلاً، فهو سر استأثر الله تعالى به،

---

(١) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (8/ 5391)

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر(ص: 191)

(٣) انظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، ط :1420هـ-1421هـ، بدون ناشر. (2/ 114)

وحجبه عن خلقه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] "فعن علي رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة، فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة» قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة)، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى *وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل٥-٦] "(١) خلق الخلائق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته (٢) قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]

حكم الإيمان بالقضاء والقدر

إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان لحديث جبريل عليه السلام الذي جاء فيه: عن أبي هريرة، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث). قال: ما الإسلام؟ قال: " الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان ". قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعة؟ قال: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ [لقمان:٣٤] ، ثم أدبر فقال: «ردوه» فلم يروا شيئاً، فقال:هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان (٣)

(١) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط(1)1422هـ، دار طوق النجاة– جدة– السعودية.، ج6، ص171، ح4949، كتاب تفسير القرآن، باب {فسنيسره للعسرى} .

(٢) انظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي الطبعة: الأولى، 1421هـ (ص: 87).

(٣) صحيح البخاري، ج1، ص19، ،ح51، كتاب الإيمان ، باب في الإيمان.

الأمر الذي يوضح أن عقيدة القضاء والقدر عقيدة من العقائد الإسلامية، التي أسست على الإيمان بالله عز وجل، وبنيت على المعرفة الصحيحة لذاته تعالى وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا. فقد جاء فيما يجب الإيمان به أن الله تعالى متصف بالعلم والإرادة والقدرة، وأنه سبحانه فعال لما يريد.

ويجد الناظر أن أهل السنة والجماعة توسَّطَوا في هذا الباب بين القدرية والجبرية. فالقدرية نفوا القدر، فقالوا: إن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فالله تعالى على زعمهم لم يخلق أفعال العباد ولا شاءها منهم، بل العباد مستقلون بأفعالهم، فالعبد على زعمهم هو الخالق لفعله، فأثبتوا خالقاً مع الله سبحانه، وهذا إشراك في الربوبية، ففيهم شبه من المجوس الذين قالوا: بأن للكون خالقين، فهم "مجوس هذه الأم ة لقول ابن عمر، حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)[١]

وقال أهل الجبر، الذين يقولون إن الإنسان مجبوراً على أفعاله وليس له إرادة ولا قدرة، ويمثل هذا في الفرق الإسلامية مذهب الجهمية ومن وافقهم، وهو ما يسمى في العصور المتأخرة بالمذهب الحتمي.[٢]

"فهدى اللهُ أهلَ السنة والجماعة للقول الحق في هذا الباب، فأثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة، وأن أفعالهم تُنسب إليهم على جهة الحقيقة، وأن فعل العبد واقع بتقدير الله ومشيئته وخلقه، فالله تعالى خالق العباد وخالق أفعالهم، كما قال سبحان ه: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّفات:٩٦] حيث إنه للعباد مشيئة تحت مشيئة الله"، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [التَّكوير:٢٩] [٣]

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ج4، ص97، ح1512، المجلد الثاني، باب ما روي في ذلك عن الصحابة، ومذهبهم في القدر رحمهم الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الطبعة: الأولى، 1415 هـ / 1995 م، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.(3/ 1308)

(٣) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الطبعة: الثانية 1424هـ، الناشر: مكتبة الرشد.(ص: 13)

وأهل السنة يؤمنون بمراتب القضاء والقدر الأربع الثابتة في الكتاب والسنة التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي :

المرتبة الأولى علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها أي العلم السابق:

فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخالفهم مجوس الأمة وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] قال مجاهد علم من إبليس المعصية وخلقه لها ، وقال قتادة : كان في علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة. (١)

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة

حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦- ١٠٧] فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود . والذكر أم الكتاب الذي عند الله ، والأرض الدنيا ، وعباده الصالحون أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هذا أصح الأقوال في هذه الآية"(٢).

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة

و قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن اذ يقول ربنا: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[الشُّورى:١٣] وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على

---

(1) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة: 1398هـ/1978م، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان. (ص: 29)

(2) المرجع السابق(ص:39)

طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم وهو سبحانه تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته وتارة أن ما لم يشأ لم يكن وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عصى وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا إضلال ولا هدى إلا بعد إذنه وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥] وقال: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨] (١) .

المرتبة الرابعة: خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها

وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار ، وخالف في ذلك مجوس الأمة ، فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وهي أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته ، بل جعلوهم هم الخالقون لها ولا تعلق لها بمشيئته ، ولا تدخل تحت قدرته ، فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا يضل مهتدياً ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلماً والكافر، وإنما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك لا يجعله تعالى ، وقد نادى القرآن بل الكتب السماوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بطلان قولهم، وصاح بهم أهل العلم والإيمان من أقطار الأرض.(٢)

---

(1) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص43،44)

(٢) انظر: المرجع السابق (ص: 49)

موقف القرطبي من عقيدة القضاء والقدر ورده على القدرية

إن القرطبي يعتقد بما يعتقد به السلف الصالح في عقيدة القضاء والقدر ويرد بصراحة ووضوح على القدرية، حيث يظهر هذا في غير موضع من تفسيره، وأذكر هنا أمثلة ثلاثة لذلك من تفسير القرطبي على النحو الآتي:

1- حيث يقول عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٥٩]والذي عليه أهل السنة أن الله سبحانه قدر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ونسبة وإضافة ، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، لا كما قالت القدرية وغيرهم من أن الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا. (١)

2- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٣] أي على ملة واحدة. (ولكن يضل من يشاء) بخذلانه إياهم، عدلا منه فيهم. (ويهدي من يشاء) بتوفيقه إياهم، فضلاً منه عليهم، ولا يسأل عما يفعل ، بل تسألون أنتم. **والآية ترد على أهل القدر** واللام في" وليبينن في الواردة في الآية اثنان وتسعون السابقة لهذه الآية " ولتسألن" مع النون المشددة يدلان على قسم مضمر، أي والله ليبينن لكم ولتسئلن". (2)

3- قوله تعالى﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:١٩]

فقوله تعالى {وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } إشارة إلى القضاء والقدر؛ أي لولا ما سبق في حكمه أنه لا يقضى بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة لقضي بينهم في الدنيا ، فأدخل المؤمنين الجنة بأعمالهم والكافرين النار بكفرهم ، ولكنه سبق من الله الأجل مع علمه بصنيعهم، فجعل موعدهم القيامة. (٣)

4- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٣٧] (ثم ازدادوا كفرا) أصروا على الكفر. (لم يكن الله ليغفر لهم ولا

---

(2) انظر: تفسير القرطبي (17/ 148)

(٢) تفسير القرطبي (10/ 172)

(٣) تفسير القرطبي (8/ 322،323)

ليهديهم) يرشدهم. (سبيلاً) طريقاً إلى الجنة. وقيل: لا يخصهم بالتوفيق كما يخص أولياءه. وفي هذه الآية رد على أهل القدر، فإن الله تعالى بين أنه لا يهدي الكافرين طريق خير ليعلم العبد أنه إنما ينال الهدى بالله تعالى، ويحرم الهدى بإرادة الله تعالى أيضا. (١)

5- حيث يقول عند تفسير سورة القدر عند قول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠] استدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم.

قال أشهب عن مالك: لا تجالس القدرية وعادهم في الله، لقوله تعالى: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله قلت: وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان. (٢)

وفي نفس المعنى ينقل القرطبي نفس المعنى عند تفسيره لقول للآية الأولى من سورة التغابن في قول الله تعالى ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١]وهو على كل شيء قدير" فيقول وقال الزجاج- وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة-: إن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر. وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان. والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه ؛ لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه ؛ ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه، لأن وجود خلاف المقدور عجز، ووجود خلاف المعلوم جعل، ولا يليقان بالله تعالى. وفي هذا سلامة من الجبر والقدر (٣).

---

(١) تفسير القرطبي (5/ 416)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (17/ 308)

(٣) انظر: تفسير القرطبي (18/ 133)

ثانيًا: عقيدة المعتزلة من القضاء والقدر

إن المعتزلة يسمون أصحاب العدل والتوحيد . ويلقبون بالقدرية والعدلية [١]، وهم أتباع واصل بن عطاء، وسموا بالمعتزلة، لأنهم "اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمه الله، وكونوا لهم جماعة وتبنوا مذهباً في التوحيد يخالف مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم وأيضا في أصول الإيمان جعلوا لهم أصولاً غيرها، وهي الأصول الخمسة ".[٢] و"القدرية" هم المنكرون للقدر، من المعتزلة قديماً، وأشباههم حديثاً الذين تربوا على يد معبد الجهني [٣]، وغيلان الدمشقي [٤]، المنكرون للقدر، المكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، الذين قالوا: إن علم الله مستأنف ليس بقديم، وإن العباد هم الموجدون لأعمالهم. وبقولهم قالت المعتزلة.[٥]"ويطلق على من نفى القدر . وقد سبق بيان أن المعتزلة تبنوا نفي القدر وضموه إلى بدعهم الأخرى." [٦]

---

(١) انظر: الملل والنحل الشهرستاني(1/ 42)

(٢) شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (وطبع الكتاب باسم: شرح رسالة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب) صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان(ص: 28) وقد سبق عرض الأصول الخمسة في صفحة 25 من البحث.

(٣) مَعْبَدُ بنُ خَالِد الجُهَنِي ذكره الواقدي في الصحابة ، وقال : أسلم قديماً، وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح، ومات سنة ثنتين وسبعين، وهو ابن بضع وثمانين سنة، ، أوّل من تكلم في البصرة بالقدر وحضر يوم (التحكيم) وانتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر فيها مذهبه. انظر: أسد الغابة لابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية.
(5/ 229) وانظر: الأعلام للزركلي (7/ 264) وانظر: تاريخ الإسلام ت بشار (2/ 1006)

(٤) غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان تنسب إليه فرقة " الغيلانية " من القدرية. وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني. قال الشهرستاني في الملل والنحل: " كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد، وفي الامامة إنها تصلح في غير قريش، فلما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الاوزاعي لمناظرته، فأفتى الاوزاعي بقتله، فصلب على باب كيسان بدمشق انظر: الأعلام للزركلي (5/ 124) وانظر: تاريخ الإسلام ت بشار (3/ 294)

(٥) الإيمان للقاسم بن سلام - محققا (ص: 63)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: 94) وانظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (3/ 1167).

(٦) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (1/ 68)

ويظهر هنا أن اسم القدرية أطلقه عليهم أهل السنة وغيرهم، وهم يتمنعون منه، ولا يقرون به، يقول القاضي عبد الجبار في ذلك: "اعلم أن القدرية عندنا إنما هم المجبرة والمشبهة، وعندهم المعتزلة؛ فنحن نرميهم بهذا اللقب ويرموننا به."(١)

وقول المعتزلة القدرية أنهم جعلوا كل ما كان من بني آدم ظلماً وقبيحاً يكون من الله عزوجل ظلماً وقبيحاً. فقاسوا أفعال الله بأفعال خلقه – وهذا باطل . فإن الله عزوجل الرب الغني القادر والخلق هم الفقراء المقهورون، كما أن هذا القول أدخلهم في أقوال باطلة كثيرة منها: زعمهم أن الله يجب أن يعمل لعباده الأصلح ، ولو لم يفعل ووقع من العباد كفر وفسق فعذبهم عليه كان ظالماً لهم، ونحو ذلك، مما هو في الحقيقة داخل تحت تفضل الله ورحمته ، وليس داخلاً تحت الواجب عليه الذي إن أخل به فهو مقصر فيما يجب عليه، وذلك مثل الهداية والتوفيق إلى الخير فإنها من فضل الله ورحمته وله المشيئة التامة في التفضل بها أو منعها، كما أن له الحكمة البالغة في ذلك والحمد أيضاً، ولهذا القدرية لا يحمدون الله على ما أنعم به على العباد، إذ يرون ذلك من الواجب عليه والإخلال به قبيح، كما أنهم يرون أنه من باب العرض المستحق، وأما أهل السنة فإنهم يرون ذلك غير واجب عليه ، بل هو تفضل وإنعام منه ، فيحمدونه الحمد كله عليه ويسألونه الفضل والزيادة. (٢)

هذا مذهب المعتزلة القدرية في أن الأمر دليل على الإرادة وأن صيغة الأمر لا دليل عليها إلا إرادة الآمر وقوع الأمر ، حيث ذكر ذلك أبو الحسين البصري (٣) المعتزلي في: المعتمد(٤) في أصول الفقه. (٥)

---

(١) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراه)، محمد با كريم محمد با عبد الله، ط(1)1415هـ-1994م، دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.(ص: 378)

(٢) انظر: المرجع السابق (1/ 214)

(٣) محمد بن علي الطيب، أبو الحسين، البصري: أحد أئمة المعتزلة.ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها. قال الخطيب البغدادي: (له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته).انظر: الأعلام للزركلي (6/ 275).

(٤) المعتمد كتاب في أصول الفقه يبحث في : الأمر والنهي، والعموم والخصوص، والناسخ والمنسوخ، والإجماع، والاجتهاد، والقياس إلا أنه على مذهب المعتزلة ومشربهم لذا تراه عقد بابا لأفعال المكلفين تكلم فيه على الحسن والقبح وأكثر نقله عن مشايخ المعتزلة كأبي علي الجبائي وأبي هاشم.

(٥) انظر: المعتمد في أصول الفقه ، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي ، تحقيق : خليل الميس، الطبعة: الأولى، 1403هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.(1/49-51).

وعقيدة السلف تؤكد أن الإيمان بالقضاء والقدر والتوحيد متلازمان، فمن أنكر القدر فقد نقض ما يدعيه من التوحيد، الأمر الذي نقضه المعتزلة بما يدعونه من توحيد الربوبية بإنكارهم للقدر، وذلك لإنكارهم الانفراد بالخلق والإرادة، فلم يتم لهم بناء على ذلك إثبات توحيد الربوبية وهو الإرادة والتصرف المطلق من جميع النواهي، بحيث لا يخرج شيء في هذا الوجود عن ملكه وقدرته وتصرفه، وهذا هو التوحيد الذي ينقضه المعتزلة بإنكارهم القدر. وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فما دام هو الرب الخالق المالك المتصرف فيلزم من ذلك أن يكون هو الإله المعبود وحده، فمن انتقض عليه توحيد الربوبية، فقد انتقض عليه أيضاً توحيد الألوهية لما بينهما من التلازم. (١)

ويوجد أيضاً من المعتزلة القدرية ممن انقرضوا يقول بعدم سبق علم الله تعالى بالأشياء قبل وجودها، وزعمهم أن الله – تعالى – لم يقدر الأمور أزلاً، ولم يكتبها، ولم يتقدم له علم بها، وإنما يأتنفها علما حال وقوعها، وهؤلاء انقرضوا، وأما القدرية المثبتة لسبق العلم بالأشياء، إنما خالفوا السلف في زعمهم أن أفعال العباد مقدرة لهم، واقعة منهم على جهة الاستقلال، لا إذن ولا صنع للباري في ذلك. (٢)

وهنا غلاتهم الذين قالوا معتقدين بعدم علم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها، فقد كفروا عند أئمة أهل السنة، ولهذا قال من قال من أئمة أهل السنة: ناظروا القَدَرِيَّة بالعلم، فإن أنكروه كفروا، وإن أقروا به خصموا. (٣)

(١) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (2/ 331).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (1/ 359).

(٣) انظر: جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) أبو سليمان عبد الله النجدي ، الطبعة: الأولى بمصر، 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ص: 107).

المطلب الثاني

نماذج من أراء المعتزلة في القضاء والقدر وموقف القرطبي منها.

أولًا: خلق أفعال العباد.

أنكرت المعتزلة خلق أفعال العباد لما ليس بقائم في العقول ولا متوهم في الأوهام ، وزعمت القدرية أن الله لا يدع الغاية من الخير الذي يقدر عليه إلا فعله ، وكذلك قولهم أن الله لا يقدر على شيء موجود من الشر ، وأنه كله فعل العباد ويقول المعتزلة: إن الله لا يريد كون الشر لأحد ومن أحد ويريده الشيطان ثم يكون ذلك وإن لم يكن ما يريده الله كما قالت الزنادقة في كون ذلك من الشيطان وخالق الشر وإن لم يرده الله [(١)]. حيث يظهر هذ ا واضحاً في كلام القاضي عبدالجبار في كتابه شرح الأصول الخمسة عند حديثه ع ن خلق الأفعال ليقول " والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها"[(٢)]

قال العراقي:" فعند أهل السنة أفعال العبد مخلوقة لله، وعند المعتزلة أن المخلوق خالق لأفعاله، ومع هذا فأهل السنة لا يكفرونهم فأهل السنة القائلون بخلق أفعال العباد يقولون ذلك لدلالة الكتاب والسنة، والأدلة العقلية، قال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّفات: ٩٦. وقد انعقد الإجماع على هذا، ثم حدث قول القدرية النفاة هذا في أواخر عصر الصحابة، وأول من اشتهر عنه ذلك غيلان القدري ومعبد الجهني ليقولوا بعدم خلق الله لأفعال العباد". [(٣)]

يقول القاضي عبد الجبار : " اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفاتهم وقيامهم ومقصودهم حادثة من جهتهم وأن الله –عز وجل – أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم وأن من قال إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه"[(٤)]

فقول القاضي عبد الجبار هنا يؤكد ما سبق من أن المعتزلة يقولون بأن العبد يخلق أفعاله، ولا ينسبون خلق الفعل إلى الله تعالى تنزيهاً لله من فعل القبيح إذا فعله العبد، وهم بذلك

---

(١) انظر: التوحيد (ص: 92)

(٢) شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار (323)

(٣) انظر: تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم ، الطبعة: الثانية، 1410 هـ/ 1990م، الناشر: دار العصمة (ص: 52) بتصرف، وقد سبق الترجمة لهما صفحة 48.

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار (3/8)

لا ينفون أن الله أعطى العبد قدرة فعل الفعل والإحداث والإيجاد، ويدل على ذلك قول القاضي عبد الجبار :" إن الفائدة تحت وصفنا الله تعالى بأنه أقدرنا على هذا الشيء، هي أنه أوجد فينا القدرة التي شأنها أن تتعلق بهذا المقدور والمخصوص"(١)

والقدرة التي يتحدث عنها القاضي عبد الجبا ر هنا هي تلك القدرة المتمثلة في تهيئة العبد للقيام بفعله وخلقه و إيجاده الأمر الذي لا يعني أن تكون أفعال العباد من ربهم.

فهذه النصوص من كتب المعتزلة كافية في تصوير مذهبهم، وإثبات قولهم في نفي خلق الله أفعال العباد.

موقف القرطبي من خلق أفعال العباد:

أبرز القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره الجامع لاحكام القرآن موقفه الواضح الجلي و ذلك فيما يأتي:

- قول الله تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨] اختلف في معنى قوله" هدى" فقيل: كتاب الله قاله السدي. وقيل: التوفيق للهداية. وقالت فرقة: الهدى الرسل وهي إلى آدم من الملائكة وإلى بنيه من البشر كما جاء في حديث أبي ذر وخرجه الآجري. وفي قوله" مني" إشارة إلى أن أفعال العباد خلق لله تعالى خلافا للقدرية وغيرهم كما تقدم. (٢)

- قول الله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦] يفرح المرء بكسبه ويسر به وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف حسناً لنمط الكلام، كما قال: فمهل الكافرين أمهلهم رويداً قال ابن عطية: ويظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما تكتسب دون تكلف، إذ كاسبها على جادة أمر الله تعالى ورسم شرعه، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة، إذا كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه إليها، فيحسن في الآية مجيء التصريفين إحرازاً، لهذا المعنى. السابعة- في هذه الآية دليل على صحة إطلاق أئمتنا على أفعال العباد كسباً واكتساباً، ولذلك لم يطلقوا على

---

(١) المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار(364)

(٢) تفسير القرطبي (1/ 328)

ذلك لا خلق ولا خالق، خلافاً لمن أطلق ذلك من مجترئة المبتدعة. ومن أطلق من أئمتنا ذلك على العبد، وأنه فاعل فبالمجاز المحض.(١)

- قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:١٧] أي يوم بدر. روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل: قتلت كذا، فعلت كذا، فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك. فنزلت الآية إعلاما بأن الله تعالى هو المميت والمقدر لجميع الأشياء، وأن العبد إنما يشارك بتكسبه وقصده. وهذه الآية ترد على من يقول بأن أفعال العباد خلق لهم. فقيل: المعنى فلم تقتلوهم ، ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى أمكنكم منهم. وقيل: ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم. (٢)

ثانيًا: الظلم عند المعتزلة.

الظلم عند المعتزلة في حق الله – عز وجل – هو الظلم في حق الإنسان، فما يفعله الإنسان ويكونُ ظلماً منه إذا نُسب إلى الله – عز وجل – فإنَّه ظُلْمْ وهم بذلك قاسوا الظلم الذي يضاف إلى الله – عز وجل – بالظلم الذي يقع من الإنسان.

فعندهم الظلم واحد، سواءٌ أكانَ في المخلوق أم في الخالق، ضابطه واحد، وتعريفه واحد، وما يُنَزَّهُ الله – عز وجل – عنه من الظلم، هو ما لا يليق بالإنسان أن يفعله.

الظلم لغة:

الظُّلْمُ: وَضْع الشَّيْءِ فِي غَيْرِ موضِعه. وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي الشَّبه: مَنْ أَشْبَهَ أَباه فَمَا ظَلَم وَأَصْلُ الظُّلم الجَوْرُ ومُجاوَزَة الحدّ .[٣] ويقول العسكري صاحب الفروق: إن الظُّلم ضَرَر لَا يسْتَحق وَلَا يعقب عوضاً سَوَاء كَانَ من سُلْطَان أَو حَاكم أَو غَيرهمَا وأصل الظُّلم نُقْصَان الْحق والجور الْعُدُول عَن الْحق من قَوْلنَا جَار عَن الطَّرِيق إذا عدل عَنهُ وخولف بَين النقيضين فَقيل :

---

(١) تفسير القرطبي (3/ 431)

(٢) المرجع السابق (7/ 384)

(٣) لسان العرب (12/ 373) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – 1414 هـ

فِي نقيض الظُّلم الإنصاف وَهُوَ إِعْطَاء الْحق على التَّمام وَفِي نقيض الْجور الْعدْل وَهُوَ الْعُدُول بِالْفِعْلِ إِلَى الْحق.[١]

فالعدل يدل على إعطاء الحق والإنصاف، والظلم والجور على النقيض من ذلك كله ، فالظلم والجور يدلان على مجاوزة الحد والبعد عن الإنصاف.

يقول القاضي عبد الجبار: (اعلم أن الظلم كل ضرر لا نفع فيه ولا دفع ضرر ، ولا استحقاق ولا ظن للوجهين المتقدمين ، ولا يكون في الحكم كأنه من جهة المضرور به ، ولا يكون في الحكم كأنه من جهة غير فاعل الضرر)[٢]

وهنا يتبين أن القاضي عبد الجبار وضع شروطاً خمسة لتعريف الظلم هي:

١. أن يكون ضررًا لا نفع فيه.
٢. أن يكون ضررًا ليس فيه دفع ضرر.
٣. أن يكون ضررًا غير مستحق.
٤. أن يكون الضرر ليس من جهة المضرور به.
٥. أن يكون الضرر من جهة غير فاعل الضرر.

ولذلك فإن المعتزلة يعرفون الظلم أيضاً بأنه : " ما يفعله الفاعل بغيره من المضار القبيحة "[٣] ويقصدون بالمضار القبيحة؛ أي التي انتفت فيها الشروط الخمسة ويصفونها بأنها مضارًا قبيحة؛ لخلوها من العدل والحكمة واللطف.

وهنا يظهر واضحاً أن المعتزلة في تعريفهم للظلم استندوا على أشياء أهمها فعل الله جل وعلا الصلاح واللطف والحسن، فإذا لم يفعل سبحانه وتعالى ذلك بغيره كان ظالماً وجائراً الأمر الذي أرادوا تنزيه الله تعالى عنه فالمعتزلة يوجبون على الله فعل الأصلح، لكي ينفع غيره، ولا يلحق ضرراً به ليصبح سبحانه غير حكيم في أفعاله وتصرفاته وعلى قول القاضي عبد الجبا ر من فعل الظلم والجور: يجب أن يكون ظالماً وجائراً فقول الله جل وعلا ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة:٧] وقوله تعالى ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨] "صنع الله الذي أتقن كل

(١) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (ص: 231)
(٢) شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار (345)
(٣) المرجع السابق (301)

شيء" يدل على أن هذه الأفعال القبيحة لم يخلقها الله عز وجل وأنها من فعل العباد وذلك أنهم يستحقون العقوبة و الذم عليها، إذ كيف يخلق الضلال فيهم، ثم يعاقبهم عليه، وهل هذا إلا بمنزلة من يفسد غلامه، ثم يعاقبه عليه.(١)

حيث يستدل القاضي عبد الجبا ر على قوله: بأن الله تعالى لا يريد القبيح بقول الله ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر:٣١] حيث يعلق القاضي عبد الجبار على الآية ليقول ظلماً جاءت نكرة والنكرة تفيد العموم فظاهر الآية يقتضي أنه تعالى لا يريد شيئاً مما وقع عليه اسم الظلم.(٢)

ويقول القاضي أيضاً في موضع آخر " إن مما يدل على أنه تعالى لا يريد المعاصي من خلقة هو أنه تعالى لو كان مريداً لها لوجب أن يكون حاصلاً على صفة من صفات النقص، وذلك لأنه لا يجوز على الله تعالى وبهذه الطريقة نفينا الجهل وعدم الحكمة عن الله تعالى.(٣)
ليظهر هنا أن المعتزلة تقرر أنه تعالى لا يفعل الظلم ولا القبيح، حيث لا يريده فكل أفعاله سبحانه وتعالى حسنة وأنه تعالى لا يخل بما هو واجب عليه الأمر الذي من خلال مبالغتهم فيه نفوا خلق الله جل وعلا لأفعال العباد.

وأختم هنا في موقف المعتزلة من الظلم بكلام الزمخشري صاحب الكشاف في تفسيره لقول الله جل وعلا ﴿ تِلْكَ آَيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٨] حيث يقول" تِلْكَ آياتُ اللَّهِ الواردة في الوعد والوعيد نَتْلُوها عَلَيْكَ ملتبسة بِالْحَقِّ والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً فيأخذ أحداً بغير جرم، أو يزيد في عقاب مجرم، أو ثواب محسن. ونكر ظلما وقال لِلْعالَمِينَ على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه، فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضا بها"(٤)

وهنا قول الزمخشري " فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح" يقصد بها أهل ا لسلف الصالح رضوان الله عليهم القائلين: ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله جل وعلا كما خلق الخير خلق الشر، وأنه سبحانه لا يأمر بالشر كما أجمع عليه السلف.

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة مطبوعات الكويت ص87 الطبعة الأولى.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة القاضي عبدالجبار(459).

(٣) انظر: المرجع السابق(462).

(٤) تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 400)

موقف القرطبي من الظلم:

يعرف القرطبي الظلم في معرض تفسيره لقول الله جل وعلا ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٤٦]

(فتكونا من الظالمين) الظلم أصله وضع الشيء في غير موضعه. والأرض المظلومة: التي لم تحفر قط ثم حفرت. قال النابغة:

وقفت فيها أصيلالا أسائلها ... عيت جوابا وما بالربع من أحد

إلا الأواري لأيا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد [١]

ويعتقد القرطبي بما يعتقد به السلف الصالح بأن الله عز وجل له القدرة المطلقة والسيادة المطلقة، وأنه جل وعلا منزه عن الظلم، فقد حرم الظلم على نفسه مع قدرته جل وعلا على كل شيء، فقال جل وعلا: ﴿ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء:٢٠٩] يقول الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة "وما كنا ظالميهم في تعذيبنا إياهم وإهلاكهم، لأنا إنما أهلكناهم، إذ عتوا علينا، وكفروا نعمتنا، وعبدوا غيرنا بعد الأعذار عليهم والإنذار، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه، فأبوا إلا التمادي في الغيّ فاستحقوا العذاب".[٢]

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصّلت:٤٦] " يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحداً إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا، أو على سبب استحقه به منه".[٣]

و يقول القرطبي عند قول الله جل وعلا (و ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) نَفَى الظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ جَلَّ وَعَزَّ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ، وَإِذَا انْتَفَتِ الْمُبَالَغَةُ انْتَفَى غَيْرُهَا، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤] "وروى العدول الثقات، والأئمة الأثبات، عن الزاهد العدل، عن أمين الأرض، عن أمين السماء، عن الرب جل جلاله : من حديث أبي ذر، عن النبي صلى الله

(١) تفسير القرطبي (1/ 309) وانظر المصدر نفسه: (9/ 95)

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، الناشر: مؤسسة الرسالة.(19/ 403)

(٣) المرجع السابق (21/ 487)

عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه." (١)

والحديث السابق يؤكد على شيئين مهمين ذكرهما الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على الطحاوية، حيث قال فهذا – أي الحديث– دل على شيئين:

الأول: أنه حرم على نفسه الظلم والممتنع لا يوصف بذلك وفي هذا رد على الإمام القرطبي والأشاعرة الذين قالوا: إن الظلم ممتنع على الله، وهو غير داخل تحت قدرته.

الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة ، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي ، والله ليس كذلك فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم ، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه لا ما هو ممتنع عليه."(٢)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الآيات الكريمة السابقة المنزهة الله جل وعلا عن الظلم، وهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل في الجزاء ، وأنه لا يبخس عامل عمله ، وكذلك قوله فيمن عاقبهم: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]وقوله ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزُّخرف:٧٦] بين أن عقاب المجرمين عدلاً لذنوبهم لا لأنا ظلمناهم ، فعاقبناهم بغير

(١) صحيح البخاري، ج4، ص4991، ح7752، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد المصري المعروف بالطحاوي شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثانية، 1414 هـ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت. (ص: 79).

ذنب. والحديث الذي في السنن: عن ابن الديلمي قال: وقع في نفسي شيء من القدر فأتيت أبي ابن كعب فقلت: يا أبا المنذر إنه وقع في نفسي شيء من القدر، وقد خشيت أن يكون فيه هلاك ديني أو أمري فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني، فقال: لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد أو مثل جبل أحد ذهباً فأنفقته في سبيل الله ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإنك إن مت على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود وتسأله، فأتيت عبد الله بن مسعود، فسألته فقال مثل ذلك فقال: ولا عليك أن تأتي حذيفة بن اليمان فتسأله، فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قال، وقال: ولو أتيت زيد بن ثابت فسألته فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم، ولو كان لك جبل أحد أو مثل جبل أحد ذهبا تنفقه في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار. [١]

إذ يبين الحديث السابق أن العذاب لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه بغير ذنب، وهذا يبين أن من الظلم المنفي عقوبة من لم يذنب.[٢]

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ط8، ج4، ص676، ح1092.
تخريج: السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي
تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات باب ما ترد به شبهة الاهواء حديث رقم 20874 عن ابن الديملي.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية– السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، (18/ 143-144).

المبحث الثالث

الغيبيات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

عقيدة السلف والمعتزلة من القضايا الغيبية

وموقف القرطبي منها.

المطلب الثاني:

تأويل المعتزلة للآيات المقررة للقضايا الغيبية

من خلال تفسير القرطبي.

المطلب الثالث:

أدلة وجود الله تعالى عند الأشاعرة

وموقف القرطبي منها.

المبحث الثالث

الغيبيات

المطلب الأول

عقيدة السلف والمعتزلة من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها

أولًا: عقيدة السلف من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها.

إن من خصائص عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم: " الإيمان بما صحّ الدليل عليه من الغيبيات، كالعرش والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط والميزان، وغيرها دون تأويل شيء من ذلك."(١)

إن علم الغيبيات من الأمور التي استأثر الله تعالى بها، واختص بها نفسه جل وعلا، دون سواه من ملك مقرب أو نبي مرسل، وهو يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب متى شاء وإذا شاء، وبذلك جاءت الآيات والأحاديث، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلله غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٢٣]، وقال تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الغَيْبُ لله فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ [يونس:٢٠] ، وقال تعالى:﴿ قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِالله وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠] يقول الإمام الطبري: " قل لهؤلاء المنكرين نبوتك: لست أقول لكم: إني الرب الذي له خزائن السماوات والأرض، فأعلم غيوب الأشياء الخفية، التي لا يعلمها إلا الرب الذي لا يخفى عليه شيء، فتكذبوني فيما أقول من ذلك؛ لأنه لا

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1/ 38)

ينبغي أن يكون ربا إلا من له ملك كل شيء، وبيده كل شيء، ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الذي لا إله غيره "(١) .

أولاً: المقصود بالغيبيات لغة:

يعرف ابن منظور الغَيْبُ بأنه: كلُّ مَا غَابَ عَنْكَ ، ويقول: قال أَبو إِسحاق فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ؛ أَي يُؤْمِنُونَ بِمَا غابَ عَنْهُمْ، مِمَّا أَخبرهم بِهِ النبيُّ، صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، مِنْ أَمرِ البَعْثِ والجنةِ وَالنَّارِ. وكلُّ مَا غابَ عَنْهُمْ مِمَّا أَنبأَهم بِهِ، فَهُوَ غَيْبٌ؛ وَقَالَ ابن الأَعرابي: يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ. قَالَ: والغَيْبُ أَيضاً مَا غابَ عَنِ العُيونِ، وإِن كَانَ مُحَصَّلًا فِي الْقُلُوبِ. ويُقال: سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ وَرَاءِ الغَيْب أَي مِنْ مَوْضِعٍ لَا أَراه. وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْغَيْبِ، وَهُوَ كُلُّ مَا غَابَ عَنِ الْعُيُونِ.(٢)

وكذلك ذهب كل من صاحب القاموس المحيط وأصحاب المعجم الوسيط إلى أن (الْغَيْب) هو كل مَا غَابَ عَن الْإِنْسَان سَوَاء أَكَانَ محصلاً فِي الْقُلُوب أم غير مُحَصل، وَيُقَال: تكلم عَن ظهر الْغَيْب، وَسمعت صَوتاً من وَرَاء الْغَيْب من مَوضِع لَا أرَاهُ. (٣)

وبذلك يكون الغيب هو كل ما غاب عن الإنسان ، فالغيب خلاف الشهادة، لذا يعتبر كل ما يدرك بالحواس، ويعلم ضرورة شاهداً ، وسمي ما يعلم بشيء غيره ، وهو الدلالة غائباً كالحياة والقدرة.

ثانياً: المعنى الشرعي للغيب:

إن المعنى الشرعي للغيب يعتبر أصلاً للمعنى اللغوي، إذ يدور معناه حول أشياء استأثر الله بها، فلم يطلع عليهن ملكا مقرباً، ولا نبياً مرسلاً إلا بما شاء الله وكيفما شاء سبحانه، وقد نقل ذلك ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٣٤]

(١) أشراط الساعة، عبد الله بن سليمان الغفيلي ، الطبعة: الأولى، 1422هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.(ص: 15)

(٢) انظر: لسان العرب (1/ 654)

(٣) انظر: القاموس المحيط (ص: 121) مجد الدين أبو طاهر محمد الفيروز آبادى تحقيق ونشر: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م، المعجم الوسيط (2/ 667).

{ وما تدري نفس بأي أرض تموت} عن قتادة رضي الله عنه.(١)

وذهب الطبري رحمه الله أيضاً إلى أن الغيب هو " أشياء استأثر بها ربنا جل وعلا ولم يطلع عليها ملكا مقرباً، ولا نبياً مرسلاً" وهو هنا يقصد الخمسة أشياء المذكورة في الآية الكريمة، إذ من الغيب ما أطلع عليه بعض الرسل عند تفسيره لقول الله (إن الله عنده علم الساعة ...) الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهن، فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً.(٢)

وتسمى الغيبيات أيضاً: وسميت مباحثه بالسمعيات؛ لأنه لا طريق لمعرفتها إلا الكتاب والسنة: والأصل في وصولهما إلينا السماع فقط أو مع القراءة. فلا دخل للعقل في الوصول إلى ما يذكر في هذا القسم ويجب الإيمان به كالملائكة والجن والأرواح واليوم الآخر والجنة والنار إلا بالفهم عن الكتاب والسنة الصحيحة. أما تسميتها بالغيبيات؛ فلأنها أمور غائبة عنا ولا أثر لها في حياتنا يدلنا عليها دلالة قطعية(٣).

ثالثاً: أنواع الغيب

إن علم الله جل وعلا الغيب جاء على عدة أنواع ، وهنا يبين الباحث أنواع الغيب حسب التالي:

١) **غيب لا يعلمه إلا الله** وهذا واضح صريح في كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم حيث بيّن ربنا في غير آية من القرآن الكريم ، حيث يقول سبحانه وتعالى في سورة لقمان : ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤]، وهنا يقول الطبري في تفسير الآية السابقة "ابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة. والمعنى: ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه، فقال: (إن الله عنده علم الساعة) التي تقوم فيها القيامة، لا يعلم ذلك أحد غيره (وينزل الغيث) من السماء، لا يقدر على ذلك أحد غيره، (ويعلم ما في الأرحام) أرحام الإناث (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) يقول: وما تعلم نفس حي ماذا تعمل في غد، (وما تدري نفس بأي أرض تموت) يقول: وما تعلم نفس حي بأي أرض تكون منيتها (إن الله عليم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 355) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

(٢) تفسير الطبري جامع البيان (20/ 160)

(٣) تبسيط العقائد الإسلامية (ص: 178)

خبير) يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون أحد سواه، إنه ذو علم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان".[١]

ويقول القرطبي عند تفسيره للآية السابقة من سورة لقمان: زعم الفراء أن هذا معنى النفي، أي ما يعلمه أحد إلا الله تعالى ويقول القرطبي عند تفسيره للآية من سورة الأنعام ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] والمفتح عبارة عن كل ما يحل غلقاً، محسوساً كان كالقفل على البيت أو معقول كالنظر فالله تعالى عنده علم الغيب، وبيده الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه، ومن شاء حجبه عنها حجبه. ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله، بدليل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]وقال:﴿ ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا*إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجنّ:٢٦-٢٧] "[٢]

فالخمسة أمور المتمثلة في الآية الكريمة من سورة الأنعام من علم الساعة التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره و إنزال الغيث من السماء الأمر الذي لا يقدر عليه أحد غير الله ولا معرفة متى نزول الغيث أيضاً.وكذلك معرفة الخالق سبحانه بما في أرحام النساء من ذكران وإناث وما تعلم نفس الإنسان ماذا تعمل أو تحصل على شيء في يوم غدها ، وأخيراً وما تعلم الإنسان بأي أرض تكون منيتها ودفنها قيامتها وما أجمل ما قال الطبري عند تفسيره لتذييل الآية حيث يقول(إن الله عليم خبير) يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه، إنه ذو علم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان.[٣]

جاء أيضاً في السنة ما يؤكد على أن هناك من أمور الغيب لا يعلمها إلا الله جل وعلا من ذلك ما رواه البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مفاتح الغيب خمس لا

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية (20/ 159)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (14/ 82) تفسير الآية من سورة لقمان،(7/ 1- 2) تفسير الآية من سورة آل عمران.

(٣) تفسير الطبري جامع البيان(20/ 159)

يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله".[١]

٢) **غيب يعلمه بعض خلق الله جل وعلا** : وهذا النوع من الغيب خاص بالأنبياء والمرسلين ، حيث يطلعهم الله عليه ذلك تأييداً وتصديقاً لهم عند أقوامهم من ذلك قول الله جل وعلا على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:٥٠] حيث يقول الطبري عند تفسيره للآية السابقة قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المنكرين نبوتك: لست أقول لكم إني الرب الذي له خزائن السماوات والأرض، وأعلم غيوب الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلا الرب الذي لا يخفى عليه شيء ، فتكذبوني فيما أقول من ذلك ؛ لأنه لا ينبغي أن يكون ربا إلا من له ملك كل شيء، وبيده كل شيء، ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الذي لا إله غيره.[٢]

ويختم الباحث هذا النوع من الغيب بتفسير القرطبي للأيه السابق ، حيث يقول في تفسيره حيث يقول قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ ﴾ [الأنعام:٥٠]، هذا جواب لقولهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [الأنعام:٣٧]، فالمعنى ليس عندي خزائن قدرته ، فأنزل ما اقترحتموه من الآيات، ولا أعلم الغيب فأخبركم به. وخزائن الله مقدوراته، أي لا أملك أن أفعل] كل ما أريد مما تقترحون (ولا أعلم الغيب) أيضا (ولا أقول لكم إني ملك) وكان القوم يتوهمون أن الملائكة أفضل، أي لست بملك فأشاهد من أمور الله ما لا يشهده البشر.[٣]

ومن الأمور التي أطلع الله عليها رسوله صلى الله عليه وسلم ما جاء عند مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير

---

(١) صحيح البخاري، باب قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى، ج6/ ص79 ، حديث رقم 4697.
(٢) انظر: تفسير الطبري جامع البيان (11/ 371)
(٣) انظر: تفسير القرطبي (6/ 430)

ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر "، فدنوت منه، فقلت له: أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأهوى إلى أذنيه، وقلبه بيديه، وقال: «سمعته أذناي، ووعاه قلبي»، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية، يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩] قال: فسكت ساعة، ثم قال: (أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله). (١)

وكذلك منها ما جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نصحه أصحابه الذين عاصروه، حيث انتفعوا بها كثيراً واطمئنوا لما سيصيبهم من فتن أو ابتلاء، حيث جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر عثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوى، وذلك في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (افتح له وبشره بالجنة) ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (افتح له وبشره بالجنة)، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم قال: الله المستعان" (٢)

وبشر وأخبر عماراً رضي الله عنه أنه تقتله الفئة الباغية، حيث جاء في الحديث الصحيح عن عكرمة، قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد، فاسمعا من حديثه، فانطلقنا

---

(١) صحيح مسلم، ج3، ص1472، ح1844، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول.

(٢) صحيح البخاري، ج5، ص13، ح3693، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان.

فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم، فينفض التراب عنه، ويقول: ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن "[١]

ومما لا شك فيه أن الإيمان بالغيب له أهمية كبيرة في باب الاعتقاد، كيف لا وكل أبوابه قائمة عليه، فالإيمان بالغيب جزء من العقيدة التي أمرنا بالانقياد لها [٢]، وتتمثل هذه الأهمية من خلال النقاط التالية:

أولا: إن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين، حيث قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:٣] ، " وخص بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان؛ لأن الإيمان بالغيب؛ أي ما غاب عن الحس هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم... ولا يقبل من المسلم إيمان ما لم يؤمن بهذه الغيبيات التي ذكرت في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة. وأهل السنَّة والجماعة يؤمنون بكل ما ورد به الوحي، ومن ذلك الإيمان بالجن والشياطين[٣].

ثانيا: " إن الإيمان بالغيب عندئذ يكون هو الثمرة الطبيعية لإزالة الحجب الساترة، واتصال الروح بالغيب والاطمئنان إليه... "[٤]

ثالثا: إن الغيبيات نوع من المخرج السهل من الضيق والأزمات، بدلاً من تعميق التفكير في الأسباب والمسببات، وهو الطريق الصحيح للخروج من الضيق والأزمات.

---

(١) صحيح البخاري، ج1، ص97، ح744، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد.

(٢) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.(2/ 60).

(٣) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل (ص: 2).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة.(1/ 41).

ولقد مرت الأمة الإسلامية في فترات صعبة كثيرة، وكانت تخرج من الضيق والأزمات بالتفكير المستنير لاجتياز تلك الأزمات، بمعرفة الأسباب والمسببات، وبالتالي التفكير في الأسباب والمسببات(١).

ولهذا جاء أعظم الغيبيات - بعد الإيمان بالله تعالى- وهو الإيمان بالآخرة مقروناً باليقين أكثر مما سواه، فقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:٤] فإن الإيمان بالآخرة - مع دلالة الفطرة السوية والعقل السليم عليه - ليس في قوة الإيمان الفطري بالله، كما أن تفصيلاته مصدرها الوحي وحده.

واليقين نوعان: يقين في خبر الله، ويقين في أمر الله الشرعي والكوني.

فاليقين بخبر الله هو الإيمان بصدقه وتحققه ووقوعه - إن كان مما له الوقوع - إيمانا لا شك فيه، وهذا هو الإيمان بالغيب يقيناً، ... وأما اليقين بأمر الله، فهو امتثاله برضاه وطمأنينة وتسليم إن كان شرعياً، والرضى به والتسليم - إن كان كونياً (٢)

رابعا: أن سبب تأليف اليونانيين لكتب الفلسفة والمنطق وكتب الكلام هو غياب الوحي عنهم، وحاجتهم إلى معرفة الغيبيات وأمور. (٣)

ولذلك: "أهل السنة وسط في باب العقل بين الذين ألَّهوه والذين ألغوه: فالوسطية شأنهم في جميع أمورهم، ومن بينها العقل، فأهل السنة لا يُلْغُون العقل، ولا ينكرونه، ولا يحجرون عليه، بل يعتقدون أن للعقل مكانة سامية، وأن الإسلام يقدر العقل، ويتيح له مجالات النظر والتفكير.

وفي الوقت نفسه لا يؤلهون العقل، ولا يجعلونه حاكماً على نصوص الشرع؛ بل يرون أن للعقل حدّاً يجب أن يقف عنده؛ لكي لا يكون وبالاً على صاحبه.

أما غيرهم فما بين مُفْرِط ومُفَرِّط في هذا الباب؛ فالمعتزلة، والفلاسفة، وأهل الكلام عموماً _ ألَّهوا العقل، وجعلوه مصدراً للتلقي"(٤).

---

(١) انظر: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الدوسري، الطبعة: الأولى، 1402 هـ - 1982م، الناشر: مكتبة دار الأرقم، الكويت. (ص: 121).

(٢) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، دكتوراة بإشراف الأستاذ : محمد قطب ، 1405 هـ - 1406 هـ، الطبعة : الأولى، 1420 هـ / 1999 م، الناشر : دار الكلمة.(ص: 406)

(٣) انظر: قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ، عبد العزيز بن فيصل الراجحي الطبعة: الأولى، 1424 هـ، الناشر: مطابع الحميضي - الرياض.(ص: 327)

(٤) مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة: الأولى، الناشر: درا بن خزيمة.(ص: 129)

والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه الآن هو: ما موقف العقل من التعرف على عالم الغيبيات وقضاياه؟ إن العقل مطالب هنا بالإيمان بالغيب... ولكن الإيمان بالغيب لا يكفي فيه التخيل ولا الظن، بل لا بد فيه من اليقين الجازم الذي لا يخالطه شك، ولا يرقى إليه ريب(١)، خاصة إذا عرفنا أن قضايا الغيب لم يطلب الشرع منا أن نبحث فيها لا كماً ولا كيفاً، ولكن طلب منا الإيمان بها على ما أخبر به الرسول فقط. ولذلك فإن السلف قد دونوا معالم المنهج وأصوله، خاصة فيما يتصل بالغيبيات، وكانوا لا ينقلون من الأحاديث إلا ما صح عندهم عن الرسول، ولا من الآثار إلا ما له نسب إلى الرسول أو إلى أحد صحابته –رضوان الله عليهم– وإذا أرادوا شرح آية أو بياناً(٢).

إن العقل يوصل الإنسان إلى معرفة إجمالية في بعض المسائل، مثل وجود الخالق تعالى، وأنه ليس كمثله شيء. أما تفاصيل ذلك وما حجبَ عن الإنسان من علم الغيب وغير ذلك فلا بدَّ فيه مع العقل من نور الوحي الذي يرشد العقلَ ويدلُّهُ عليه.

إن الأمور المتعلقة بما وراء المادة (الغيبيات) ليس مما يقع في حدود الحواس، فمن المنطق ألاّ تكون تلك الحواس قادرة على إدراك ما يقع في ذلك المجال، كما أن العقل– وهو يتمتع بقدرات محدودة، ويتقيد بعاملي الزمان والمكان – لا يستطيع أن يحيط علماً بما هو خارج عن حدوده، فضلاً عن أن يحيط بعلم ما لا حدَّ له(٣).

ويجب التنبه إلى أن اللَّه تعالى إذا أخبرنا في كتابه عن شيء من عالم الشهادة دعانا إلى البحث عن كيفيته وخصائصه كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية:١٧] ، وكقوله سبحانه: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١]، أما إذا خاطبنا عن شيء من عالم الغيب خص نفسه بعلم كيفيته، فقال سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:٧] ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾، أي لا يعلم حقيقة الغيبيات التي أخبرنا

(١) انظر: الوحي والإنسان – قراءة معرفية، محمد السيد الجليند، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، (ص: 85)

(٢) المرجع السابق (ص: 88)

(٣) أركان الإيمان (ص: 26)

اللَّه عنها إلا اللَّه، فأمرنا بالكف عن طلب الكيفية التي عليها تلك الحقائق؛ لأن ذلك خارج عن إمكانيات حواسنا(١).

إن كل ما لا مجال للعقل فيه من الغيبيات، فلا ينبغي أن يتكلف العقل الخوض فيه، أو اعتساف تأويله حتى يكون لديه إمكانية ذلك؛ لأنه إما أن يخطئ الحقيقة، أو يتيه عنها، وهو مع ذلك لا فائدة ترجى من الجدال النظري البحت الذي لا صلة له بمجالات الحياة العملية (٢).

إن هناك كثيراً من الأمور الغائبة عن علم الإنسان مع اتصاله بها، كالروح وكثير من الظواهر الطبيعية التي يعجز الإنسان عن تفسيرها، فمن الأولى أن يعجز عن تفسير الغيبياتِ، أو إدراكها، فمعرفة الإنسان التي يحصل عليها في عالم المادة تتوقف على منهجيته المعرفية عن طريق الحواس، وهو محكوم بالزمان والمكان في الإطار الممكن.

أما عالمُ الغيبِ فتتوقف معرفة الإنسان فيه على الخبرِ الصادق الذي يبلغه عن مصدرٍ يتمتع بالعلمِ المطلق، الذي يتجاوز محدودية الحواس وحاجزي الزمان والمكان، وهذا المصدر هو الله سبحانه وتعالى (٣).

إذن عالم الغيبيات التي لا يجوز لأحد أن يخوض فيه بخرص ولا تخمين؛ لأن ذلك الأمر كله راجع إلى الله تعالى، وهو مما استأثر نفسه بعلمه سبحانه. (٤)

ولذلك فإن للناس ثلاثة مذاهب من الغيبيات:

• المذهب الأول: مذهب السلف والأئمة وأتباعهم: آمنوا بجميع ذلك مع علمهم بالمباينة بين ما في الآخرة وما في الدنيا، وأن مباينة الله لخلقه أعظم وأولى كما صرحت بذلك الأدلة.

• المذهب الثاني: هم الذين أثبتوا ما أخبر الله به عن الآخرة، ولكنهم نفوا كثيراً مما أخبر به عن نفسه فمنهم من نفاه جميعاً . الأسماء والصفات . كالجهمية، ومنهم من نفى الصفات كالمعتزلة، ومنهم من نفى بعضها كالأشاعرة والماتريدية، فالجميع يؤمنون بما جاء عن اليوم الآخر وينفون تفاصيل الصفات إذا اعتبرنا مسألة الرؤية في الآخرة من مسائل الصفات؛ لأنهم ينفونها باعتبار تعلقها بالله تعالى، ويزعمون امتناعها في حقه.

---

(١) مختصر القواعد السلفية في الصفات الربانية ، محمود بن عبد الرضواني ، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ - 2005 م الناشر: مكتبة سلسبيل، القاهرة (ص: 27)

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (1/ 116)

(٣) أركان الإيمان (ص: 27)

(٤) انظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص: 262)

• المذهب الثالث: نفوا جميع ذلك، وهم القرامطة الباطنية والفلاسفة المشاءون، وزعموا أن أخبار اليوم الآخر خيالات جاءت بها الرسل لإصلاح الخلق أو يسمونه "بمصلحة الجمهور".
* فالفريق الأول: هم أهل التنزيل. والثاني: هم أهل التعطيل، والثالث: هم أهل التخييل. (١)

موقف الإمام القرطبي من القضايا الغيبية:

أولاً: الشفاعة في اللغة:

الشفاعة في اللغة مشتقة من الشفع الذي هو غير الوتر ، أي بمعنى الزوج قال ابن منظور الشَّفْعُ: خِلَافُ الوَتْر، وقال كذلك الشافع : الطالب لغيره يشفع به إلى المطلوب ، يقال : تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه. وشفع لي يشفع شفاعة وتشفع: طلب. والشفيع: الشافع، واستشفع بفلان على فلان وتشفع له إليه فشفعه فيه. وقال الفارسي: استشفعه طلب منه الشفاعة أي قال له كن لي شافعاً. وفي التنزيل: من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها. (٢)

وكذلك ذهب إلى هذا المعنى صاحب معجم مقاييس اللغة حيث قال" و الشفع خلاف الوتر. تقول: كان فرداً فشفعته. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ﴾ [الفجر:٣]، قال أهل التفسير: الوتر الله تعالى، والشفع الخلق". (٣)

الشفاعة في الاصطلاح:

يقول صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر عند حديثه عن قولنا " شَفَعَ" ليقول " قد تكرر ذكر الشفاعة في العديد من الأحاديث النبوية فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، يقال شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع، والمشفع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفع الذي تقبل شفاعته".(٤)

---

(١) انظر: شرح الرسالة التدمرية ، محمد بن عبد الرحمن الخميس ، ط: 1425هـ-2004م، دار أطلس الخضراء- الرياض- السعودية، (ص196: 197).
(٢) انظر: لسان العرب (8/ 183- 184)
(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق، عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.(3/ 201).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.(2/ 485).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية "وأما الاستشفاع إلى الله تعالى به، وهو طلب الشفاعة منه" (١)
وبذلك تتعد معاني الشفاعة في الاصطلاح بين العلماء لتتفق في معناها حول طلب التجاوز عن المعاصي والذنوب.

لقد جاء الكثير من الأدلة على الشفاعة من القرآن الكريم والسنة، حيث إن الإيمان بها هو من جملة الإيمان بالأمور المغيبة، كالصراط والحوض والدواوين والميزان وغير ذلك من أحوال يوم القيامة و الإيمان بذلك كلِّه من الإيمان بالغيب الذي امتدح الله عز وجل أهله بقوله: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} أي: الذين يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرتهم به رسل الله تعالى.
والشفاعة التي تكون يوم القيامة أنواع عديدة، منها ما هو مختص بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ومنها ما هو عام له وللأنبياء والصالحين من عباد الله.(٢)

ويشفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعد ما احترقوا، وصاروا فحماً وحمماً، فيدخلون الجنة بشفاعته، ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات، قال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين(٣).

والشفاعة حق إذا تحققت شروطها، وهي أن تكون بإذن الله تعالى ورضاه عن المشفوع له، قال الله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النَّجم:٢٦] ففي هذه الآية الكريمة أن الشفاعة لا تنفع إلا بشرطين:

الأول: إذن الله للشافع أن يشفع؛ لأن الشفاعة ملكه سبحانه، ﴿قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزُّمر:٤٤]

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية. (3/ 44).
(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط(1)1424هـ-2003م، غراس للنشر والتوزيع- الكويت (ص: 271)
(٣) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع.(ص: 154)

الثاني: رضاه عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد؛ لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدَّثر:٤٨] . (١)

الشفاعة عند المعتزلة:

الشفاعة في الاصطلاح عند القاضي عبد الجبا ر" هي مسألة الغير ، أن ينفع غيره ، أو أن يدفع عنه مضرة".(٢)

وكذلك يجد الناظر أيضاً أن الزمخشري ذهب إلى هذا المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]

حيث يقول عند تفسيره للآية السابقة أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق وَلا خُلَّةٌ حتى يسامحكم أخلاؤكم به، وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمّتكم من الواجب من الفرائض لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات، **لأنّ الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير** وَالْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون. (٣)

ويظهر هنا موقف الزمخشري المعتزلي في الشفاعة، حيث يذكر في كشافه عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨] يقول فإن قلت: هل فيه دليل على أنّ الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم؛ لأنه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة. فإن قلت: الضمير في (وَلا يُقْبَلُ مِنْها) إلى أي النفسين يرجع؟ قلت: إلى الثانية العاصية غير المجزى عنها، وهي التي لا يؤخذ منها عدل. ومعنى لا يقبل منها شفاعة: إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها، ويجوز أن يرجع إلى النفس

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الطبعة: الرابعة 1420هـ - 1999م، الناشر: دار ابن الجوزي.(ص: 293)

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (688)

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (1/ 299)

الأولى، على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، كما لا تجزى عنها شيئاً، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها. (١)

حيث يظهر ومن خلال كلام القاضي عبد الجبا ر والزمخشري معنى الشفاعة عند المعتزلة، وإن كان ما ذهب إليه الزمخشري أوضح وأصرح، حيث قال: إنها أي الشفاعة ثمة زيادة الفضل لا غير وهي غير محققة بذلك للعصاة ممن مات على التوحيد. بل هي للتائبين من المؤمنين.
وبذلك يمكننا القول لمنكري الشفاعة كما يقول صاحب الإبانة عن أصول الديانة:" قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة، فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين للكبائر، أم للمؤمنين المخلصين؟
فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين للكبائر وافقوا.
وإن قالوا: للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها.
قيل لهم: فإذا كانوا موعودين بالجنة وبها مبشرين، والله تعالى لا يخلف وعده فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته؟ ومن قولكم أنهم قد استحقوها على الله عز وجل". (٢)

إن موقف الإمام القرطبي من الغيبيات جاء موافقا لأهل السنة فهو يثبتها كما أهل السنة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

ذكر الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] قال ما نصه: " ظاهره أن غير الكافرين لا يدخلها وليس كذلك، بدليل ما ذكره في غير موضع من الوعيد للمذنبين وبالأحاديث الثابتة في الشفاعة، على ما يأتي. وفيه دليل على ما يقوله أهل الحق من أن النار موجودة مخلوقة، خلافا للمبتدعة في قولهم: إنها لم تخلق حتى الآن"(٣).

وهو يثبت الشفاعة، ففي قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨] فيقول: "مذهب أهل الحق أن الشفاعة حق

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (1/ 136- 137)
(٢) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د/ فوقية حسين محمود، ط(1)1397هـ، دار الأنصار – القاهرة – مصر. (ص: 241).
(٣) تفسير القرطبي (1/ 236)

وأنكرها المعتزلة وخلدوا المؤمنين من المذنبين الذين دخلوا النار في العذاب. والأخبار متظاهرة بأن من كان من العصاة المذنبين الموحدين من أمم النبيين هم الذين تنالهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين. وقد تمسك القاضي عليهم في الرد بشيئين أحدهما الأخبار الكثيرة التي تواترت في المعنى. والثاني الإجماع من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول"[١]، ويقول: "باب في الشفاعة العامة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأهل هذه الأخبار بالقبول"[٢]، وفي موطن آخر يقول : "هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله عليه السلام: في الحديث الذي يرويه أبو هريرة حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا)[٣]"[٤] .

ويقول: "الثالثة: في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفعه فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم، ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة، فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقبيح".[٥]

ثانياُ: الميزان.

الميزان لغة:

يقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان ، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه موازين. قال الله تعالى: ونضع الموازين القسط؛ يريد نضع الميزان القسط قال الزجاج: اختلف الناس في

---

(١) تفسير القرطبي (1/ 378)

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 597)

(٣) صحيح مسلم، ج1، ص189، ح338، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته.

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 599)

(٥) المرجع السابق (ص: 607)

ذكر الميزان في القيامة، فجاء في التفسير: أنه ميزان له كفتان، وأن الميزان أنزل في الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال. (١)

الميزان شرعاً:

هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى:﴿ وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:٨] وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآَيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف:٩] وقوله تعالى﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]

وجاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم} " { وقال عن ساقي عبد الله بن مسعود: لهما في الميزان أثقل من أحد} (٢) وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات ، وبالعكس فهو ما به تبين العدل. والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا. وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب. (٣)

قال الإمام السفاريني: " نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال، قال ابن عباس – رضي الله عنهما: توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة".(٤)

كما دلت النصوص أيضاً على أنَّ الأشخاص وأعمالهم وصحائفهم كلَّها توزن يوم القيامة.
وإذا آمن العبد بالميزان، وأنَّه ميزان حقيقي له كفتان، توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، وكلُّ عملٍ عملَه في هذه الحياة يوزن، إذا آمن بذلك إيماناً جازماً، فإنه لا ريب سيزداد إقباله على الحسنات، ويشتد بعده عن السيئات.(٥)

---

(١) انظر: لسان العرب (13/ 446)
(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت باب مناقب عبدالله بن مسعود249/3
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (4/ 302)
(٤) لوامع الأنوار البهية (2/ 184)
(٥) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص: 292)

ويتجلى واضحاً موقف القرطبي من الميزان عندما يقف القرطبي مع بعض الآيات الكريمة التي جاء فيها ذكر الميزان، وأبين هنا عقيدة القرطبي من خلال مواضع ثلاثة من سورة الأعراف والكهف والقارعة حسب التالي:

١. سورة الأعراف حيث يقول الله تعالى: ﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ(٩) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآَيَاتِنَا يَظْلِمُونَ(9) ﴾[الأعراف٨-٩]. والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان. قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد. وهذا هو الصحيح، وهو الذي ورد به الخبر على ما يأتي. وقيل: الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق. وقال مجاهد: الميزان الحسنات والسيئات بأعيانها.

قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها. ومن المتكلمين من يقول: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجساما، فيزنها يوم القيامة. وهذا ليس بصحيح عندنا، والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف. حيث جاء في صحيح مسلم عن صفوان بن محرز قال قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى؟ قال سمعته يقول: (يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف فيقول: أي رب أعرف قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله (. فقوله:) فيعطى صحيفة حسناته) دليل على أن الأعمال تكتب في الصحف وتوزن.[(١)]

٢. قول الله عزوجل من سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(٢١٤) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(٢١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا(٢١٦) ﴾ [الكهف ١٠٣- ١٠٥] حيث يتجلى موقف القرطبي من الميزان إذ يقول وفيها مسألتان :

الأولى- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ فيه دلالة على أن من الناس من يعمل العمل وهو يظن أنه محسن وقد حبط سعيه، والذي يوجب إحباط السعي إما فساد الاعتقاد أو المراءاة، والمراد هنا الكفر.

(١) انظر: تفسير القرطبي (7/ 164- 165- 166)

الثانية– قوله تعالى:﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾ قراءة الجمهور" نقيم بنون العظمة. وقرأ مجاهد: بياء الغائب، يريد فلا يقيم الله عز وجل، وقرأ عبيد بن عمير" فلا يقوم" ويلزمه أن يقرأ:" وزن" وكذلك قرأ مجاهد:" فلا يقوم لهم يوم القيامة وزن". قال عبيد بن عمير: يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة. قلت: هذا لا يقال مثله من جهة الرأي، وقد ثبت معناه مرفوعاً في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا إن شئتم ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] والمعنى أنهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار.[١]

٣. قول الله عزوجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(٧) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٨) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٩) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(9) ﴾. [القارعة٦-٩].

حيث يقول قد تقدم القول في الميزان، وأن له كفة ولساناً توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات.[٢] كما يقول الإمام القرطبي عند حديثه عن الميزان باب كيفية الميزان ووزن الأعمال" قد جاء أن كفة الحسنات من نور، والأخرى من ظلام، والكفة النيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات، وجاء في الخبر أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار وذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول.

ثم يقول القرطبي "قال ابن عباس رضي الله عنهما: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق".[٣]

وهو يثبت الخلود في النار لأهل الكفر، حيث يقول: " وأما العقبى والمال فإنهم إذا قالوا: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] ، وكتب عليهم الخلود بالمثل الذي يضرب

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (11/ 65-66)

(٢) المرجع السابق (20/ 166)

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 724)

لهم وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى المكوت، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت سلبوا في ذلك الوقت أسماعهم، وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام، لكن سلب السمع يقين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق."(١)

وفي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦] يقول: "يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوه المؤمنين مبيضة ووجوه الكافرين مسودة. ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب، إذ قرأ المؤمن كتابه فرأى في كتابه، حسناته استبشر وابيض وجهه، وإذا قرأ الكافر والمنافق كتابه فرأى فيه سيئاته اسود وجهه. ويقال: إن ذلك عند الميزان إذا رجحت حسناته ابيض وجهه، وإذا رجحت سيئاته اسود وجهه. ويقال: ذلك عند قوله تعالى:﴿ وَامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]. "(٢)

أما عن موقفه من الجنة والنار فيبين موقف أهل السنة ويفصله عن موقف المعتزلة، فيقول عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] "وعامة العلماء على أن الجنة مخلوقة موجودة: لقوله" أعدت للمتقين" وهو نص حديث الإسراء وغيره في الصحيحين وغيرهما"(٣).

وعن أبدية الجنة: يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٦] "(خالدين فيها) أي ماكثين دائمين"(٤)

وفي معرض حديثه عن النار يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا* يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾[الأحزاب: ٦٥-٦٦] قوله تعالى: (إن الله لعن الكافرين) أي طردهم وأبعدهم. واللعن: الطرد والإبعاد عن الرحمة. (وأعد لهم سعيراً. خالدين فيها أبدا) أنث السعير؛ لأنها بمعنى النار. (لا يجدون وليا ولا نصيرا) ينجيهم من عذاب الله والخلود فيه"(٥).

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 530)
(٢) تفسير القرطبي (4/ 166)
(٣) تفسير القرطبي (4/ 205).
(٤) تفسير القرطبي (11/ 227)
(٥) تفسير القرطبي (14/ 248)

وفي موضع آخر: يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجنّ:٢٣] يقول: " وجمع خالدين؛ لأن المعنى لكل من فعل ذلك، فوحد أولاً للفظ من ثم جمع للمعنى. وقوله أبداً دليل على أن العصيان هنا هو الشرك. وقيل: هو المعاصي غير الشرك، ويكون معنى خالدين فيها أبدا إلا أن أعفو أو تلحقهم شفاعة، ولا محالة إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو"[١].

واضح مما تقدم أن الإمام القرطبي يثبت الخلود في النار لأهل الكفر، والخروج منها لأهل الإيمان، لمن استحق دخولها من أهل الإيمان، وهو بذلك يتوافق مع مذهب أهل السنة.

وعن موقفه من المس الشيطاني، يقول عند تفسيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥] : " في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس، وقد مضى الرد عليهم فيما تقدم من هذا الكتاب".[٢]

---

(١) تفسير القرطبي (19/ 27)

(٢) المرجع السابق (3/ 355)

ثانيًا: عقيدة المعتزلة من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها

يقوم منهج المعتزلة ومسلكهم في الاستدلال على العقائد على تقديم العقل على النقل، دون الاهتداء بكتاب أو سنة حيت يعتبر اهتدائهم بالقران والسنة إذا وجد على سبيل التعضيد لا الاعتماد من حيث الأصل، والبراعة في استخدام العقل والمجادلة والنظر(١)، حيث يجدهم الناظر يستبدون بالرأي والهوى دون نصوص الوحي والهدى(٢)، ولذلك "وضعوا أصولاً عقلية، ثم لما جاءوا إلى القرآن والسنة وما فيهما من دلالات في الاعتقاد، نظروا فما وجدوه موافقا لتلك الأصول العقلية أخذوا به، وما وجدوه مخالفا لشيء منها أولوه أو أنكروا الاحتجاج به"(٣).

يقول ابن عثيمين: "ولذلك فنحن نقول: إن الذين ينكرون المحسوسات جهال، وجهلهم قبيح، والذين ينكرون العقليات التي ليست وهميات أيضاً جهال، وجهلهم قبيح.

ثم يستطرد قائلاً" وقد قلت: العقليات الصريحة دون الوهميات؛ لئلا يحتج علينا المعتزلة والأشاعرة والجهمية وغيرهم، الذين سلكوا تحكيم العقل في الأمور الغيبية، حتى في صفات الله، حيث قالوا: لا نقبل إلا ما أملت علينا عقولنا.

فنقول: هذه العقول التي زعمتموها هي عقول وهمية وخيالات لا أصل لها؛ لأن العقل الصريح لا يمكن أن يناقض النقل الصحيح من الكتاب والسنة أبداً، وهذه قاعدة مطردة.
ومعنى قولنا: العقل الصريح أي الخالص من دائين عظيمين، وهما: الشبهة، والشهوة".(٤)

ولهذا فإن من انحرافات المعتزلة هو استعمالهم العقل في غير مجاله: في أمور غيبية مما تقع خارج الحس، ولا يمكن محاكمتها محاكمة عقلية صحيحة، كما أنهم بنوا عدداً من القضايا على مقدمات معينة فكانت النتائج ليست صحيحة على إطلاقها، وهو أمر لا يسلّم به دائماً حتى لو اتبعت نفس الأساليب التي استعملوها في الاستنباط والنظر العقلي: مثل نفيهم الصفات عن الله اعتماداً على قوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ

---

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي ، ط: 1413هـ، عمادة البحث العلمي بتفسير القرطبية الإسلامية بالمدينة المنورة– السعودية. (ص: 38).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص: 6)

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، ط(1)1415هـ– 1995م، مكتبة الرشد – الرياض– السعودية.(1/ 69)

(٤) شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، لابن عثيمين، ط(1)1426هـ، دار الوطن للنشر– الرياض– السعودية.(1/ 728)

أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى: ١١] (ليس كمثله شيء) . وكان الصحيح أن لا تنفى عنه الصفات التي أثبتها لنفسه سبحانه وتعالى، ولكن تفهم الآية على أن صفاته سبحانه وتعالى لا تماثل صفات المخلوقين.

وقد حدد العلماء مجال استعمال العقل بعدد من الضوابط منها: (١)

١. أن لا يتعارض مع النصوص الصحيحة.
٢. أن لا يكون استعمال العقل في القضايا الغيبية التي يعتبر الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفتها.
٣. أن يقدم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها " وهو ما يعرف بالأمور التوقيفية".

ولا شك أن احترام الإسلام للعقل وتشجيعه للنظر والفكر لا يقدمه على النصوص الشرعية الصحيحة، خاصة أن العقول متغيرة، وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحكم المطلق في كل الأمور. (٢)

(١) تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 400)

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1/ 70)

المطلب الثاني

تأويل المعتزلة للآيات المقررة للقضايا الغيبية من خلال تفسير القرطبي

أورد الإمام القرطبي في تفسيره موقف المعتزلة من القضايا الغيبية، ورد عليها، وهنا يذكر الباحث أمثلة لعدد من تلك القضايا والتي منها:

أولاً: الشفاعة:

عند تفسير القرطبي لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٥٩] حيث يثبت الشفاعة، وخروج أهل الكبائر من النار، وأن الخلود فيها خاص بالكفار، فيقول: "فظهور روايتها وإطباقهم على صحتها وقبولهم لها دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد عقيدة المعتزلة فإن قالوا قد وردت نصوص من الكتاب بما يوجب رد هذه الأخبار مثل قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨] " قالوا: وأصحاب الكبائر ظالمون. وقال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:٢٣٤] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٥٩] "قلنا ليست هذه الآيات عامة في كل ظالم والعموم لا صيغة له، فلا تعم هذه الآيات كل من يعمل سوءاً وكل نفس، وإنما المراد بها الكافرون دون المؤمنين بدليل الأخبار الواردة في ذلك وأيضا فإن الله تعالى أثبت شفاعة لأقوام ونفاها عن أقوام فقال في صفة الكافرين، فقال سبحانه: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (١) [المدَّثر:٤٨] .

والملاحظ أن القرطبي يقول عند حديثه عن العصاة من المؤمنين وعدم خلودهم في النار في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] " وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] فإن قالوا أي المعتزلة: قد قال تعالى" ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " والفاسق غير مرتضى قلنا لم يقل لمن لا يرضى، وإنما قال" لمن

(١) انظر: تفسير القرطبي (1/ 379).

ارتضى " ومن ارتضاه الله للشفاعة هم الموحدون بدليل قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧] وقال المفسرون: إلا من قال لا إله إلا الله. فإن قالوا المرتضى هو التائب الذي اتخذ عند الله عهداً بالإنابة إليه بدليل أن الملائكة استغفروا لهم وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ﴾ [غافر:٧] وكذلك شفاعة الأنبياء عليهم السلام إنما هي لأهل التوبة دون أهل الكبائر قلنا: عندكم يجب على الله تعالى قبول التوبة. [١]

كما يقرر القرطبي أيضاً ما سبق من عقيدة السلف والرد على المعتزلة في تأويلاتهم، حيث يذكر ذلك في كتابه التذكرة في معرض حديثه عن الشفاعة، فيذكر مسائل منها" ا لرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ويستطرد القرطبي قائلاً وهذه المشافعة أنكرتها المعتزلة أيضاً وإذا منعوها فيمن استوجب النار بذنبه وإن لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها.

قال القاضي عياض: وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول، «فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدَّثر:٤٨]قيل له: لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة". [٢]

ثانياً: الميزان

ومن خلال تفسير القرطبي لقوله تعالى:﴿ وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨] مذهب المعتزلة والقاضي بإنكار الميزان، حيث يبطل مذهب المعتزلة، فيقول: "والأولى أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان. ... قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها. ومن المتكلمين من يقول: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجساما فيزنها يوم القيامة. وهذا ليس بصحيح عندنا، والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف".[٣]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (1/ 380)

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 608)

(٣) تفسير القرطبي (7/ 165).

وفي موطن آخر يقول: "والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠- ١١] قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا، فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار"(١).

ثالثاً: خلق الجنة والنار.

يدين القرطبي لله تعالى في خلق الجنة والنار، ويقرر عقيدة السلف في أن الجنة والنار مخلوقتان، حيث اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا. وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة. وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث ؛ لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة. فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها لله تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف قولهم. (٢)

إذ وردت الكثير من الأدلة وتواترت على خلق الجنة والنار وأبديتهم، حيث لا فناء لهم وهنا أذكر بعض الأدلة على ذلك، والتي ورد بعضها في القرآن وبعضها الآخر في السنة النبوية:

أولاً: الأدلة على وجود الجنة والنار من القرآن الكريم.

١. قول الله جل وعلا ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

٢. قوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 722)

(٢) انظر: شرح الطحاوية ط الأرناؤوط (2/ 614/ 615)

ثانياً:الأدلة من السنة النبوية على خلق الجنة والنار:

١. ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة "(١)

٢. وفي "صحيح مسلم"، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خسفت الشمس على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم " رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني جعلت أقدم. ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت "(٢)

و أراني مكتفياً بهذا القدر من الأدلة الصحيحة الصريحة في خلق الجنة والنار لاقف هنا مع بعض تأويلات المعتزلة للقضايا الغيبية، والتي تظهر أيضاً عقيدة القرطبي من تلك القضايا حيث يقول القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] يقول "وعامة العلماء على أن الجنة مخلوقة موجودة: لقوله" أعدت للمتقين" وهو نص حديث الإسراء وغيره في الصحيحين وغيرهما. وقالت المعتزلة: إنهما غير مخلوقتين في وقتنا، وإن الله تعالى إذا طوى السموات والأرض ابتدأ خلق الجنة والنار حيث شاء؛ لأنهما دار جزاء بالثواب والعقاب، فخلقتا بعد التكليف في وقت الجزاء، لئلا تجتمع دار التكليف ودار الجزاء في الدنيا، كما لم يجتمعا في الآخرة. ... وإذا كانت السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إلى الكرسي كدراهم ألقيت في فلاة من الأرض، والكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، فالجنة الآن على ما هي عليه في الآخرة عرضها كعرض السموات والأرض، إذ العرش سقفها، ومعلوم أن السقف يحتوي على ما تحته ويزيد(٣).

وفي معرض حديث القرطبي عن قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

نجده يذم المعتزلة وأهل البدع بقوله: "وسئل سهل بن عبد الله عن الصلاة خلف المعتزلة والنكاح منهم وتزوجهم. فقال: لا، ولا كرامة! هم كفار، **كيف يؤمن من يقول: القرآن مخلوق،**

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج7/ ص54، حديث رقم2165.

(٢) صحيح البخاري، باب صلاة الكسوف، ج2/ ص619، حديث رقم901.

(٣) تفسير القرطبي (4/ 205)

ولا جنة مخلوقة ولا نار مخلوقة، ولا لله صراط ولا شفاعة، ولا أحد من المؤمنين يدخل النار ولا يخرج من النار من مذنبي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا عذاب القبر ولا منكر ولا نكير، ولا رؤية لربنا في الآخرة ولا زيادة، وأن علم الله مخلوق، ولا يرون السلطان ولا جمعة، ويكفرون من يؤمن بهذا. وقال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه"[١].

رابعاً: عذاب القبر

إن عقيدة السلف تثبت عذاب القبر لمن كان له أهلاً، ونعيمه لمن أخلص لربه وعمل صالحاً وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران. [٢]

وقد رد الإمام القرطبي أقوال المعتزلة فيما يتعلق بعذاب القبر وأفسده، حيث يقول: " وقال الأكثرون من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله تعالى بمنكر ونكير، وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل، وتقريع الملكين له هو النكير، وقال صالح: عذاب القبر جائز، وأنه يجري على الموتى من غير رد الأرواح إلى الأجساد، وأن الميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم، وهذا مذهب جماعة من الكرامية.

وقال بعض المعتزلة: إن الله يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام، وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتى، كسبيل السكران أو المغشى عليه، لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد إليهم العقل وجدوا تلك الآلام، وأما الباقون من المعتزلة مثل: ضرار بن عمرو وبشر المريسي ويحيى بن كامل وغيرهم، فإنهم أنكروا عذاب القبر أصلاً، وقالوا: إن من مات فهو ميت في قبره إلى يوم البعث وهذه أقوال كلها فاسدة تردها الأخبار الثابتة وفي التنزيل قوله تعالى:﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٦] [٣]

---

(١) تفسير القرطبي (7/ 141)

(٢) أنظر: شرح الطحاوية – ط دار السلام (ص: 396)

(٣) أنظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 379–380)

والآية السابقة كما يقول القرطبي " تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة:" ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب". وفي الحديث عن ابن مسعود: أن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي ، فيقال هذه داركم."[١]

ثم نجد القرطبي يتعجب في تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

" كيف يؤمن من يقول: القرآن مخلوق، ولا جنة مخلوقة ولا نار مخلوقة، ولا لله صراط ولا شفاعة، ولا أحد من المؤمنين يدخل النار ولا يخرج من النار من مذنبي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا عذاب القبر ولا منكر ولا نكير، ولا رؤية لربنا في الآخرة ولا زيادة."[٢]

وفي معرض حديث القرطبي عن أشراط الساعة الغيبية التي ينكرها المعتزلة، يثبت القرطبي خروج المسيح الدجال، كما يعتقد بذلك السلف الصالح، فيقول: " الإيمان بالدجال وخروجه حق، وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث خلافاً لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة ووافقنا على إثباته بعض الجهمية وغيرهم، لكن زعموا أن ما عنده مخارق وحيل قالوا؛ لأنها لو كانت أموراً صحيحة لكان ذلك إلباساً الكاذب بالصادق، وحينئذ لا يكون الفرق بين النبي والمتنبي وهذا هذيان لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه، فإن هذا إنما كان يلزم لو أن الدجال يدعي النبوة، وليس كذلك، فإنه إنما ادعى الإلهية، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله ليس بأعور»[٣] تنبيهاً للعقول على فقره وحدثه ونقصه وإن كان عظيماً في خلقه، ثم قال: «مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن ومؤمنة كاتب أو غير كاتب»[٤] وهذا الأمر مشاهد للحس يشهد بكذبه وكفره.

وقد تأول بعض الناس: مكتوب بين عينيه كافر فقال: معنى ذلك ما ثبت من سمات حدثه وشواهد عجزه وظهور نقصه قال: ولو كان على ظاهره وحقيقته لاستوى في إدراك ذلك

---

(١) تفسير القرطبي (15/ 319)

(٢) تفسير القرطبي (7/ 141)

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم (31)، باب: خروج الدجال (14)، ص 643-644، حديث رقم: (4320). (قال الألباني: صحيح).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة (52)، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه (20)، (2249/4)، حديث رقم: (2934).

المؤمن والكافر وهذا عدول وتحريف عن حقيقة الحديث من غير موجب لذلك، وما ذكره من لزوم المساواة بين المؤمن والكافر في قراءة ذلك لا يلزم؛ لأن الله تعالى يمنع الكافر من إدراكه"(١).

وكذلك رد القرطبي كلام المعتزلة في القضاء والقدر، ففي قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣] فقوله تعالى ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ يقول: "واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لفرية، وجعلته النصارى ربا، فهدى الله المؤمنين بأن جعلوه عبد الله، ثم يجد الناظر أيضاً كلام القرطبي في قوله تعالى: "والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم": كيف يرد على المعتزلة في قولهم: إن العبد يستبد بهداية نفسه(٢).

وفيما يتعلق برسالة النبي وختمها لجميع الرسالات يذكر قول المعتزلة ويرده، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورى:٥٢]

يقول"... وقالت فرقة ثالثة: إنه كان متعبداً بشرع من قبله وعاملاً به، ثم اختلف هؤلاء في التعيين، فذهبت طائفة إلى أنه كان على دين عيسى فإنه ناسخ لجميع الأديان والملل قبلها، فلا يجوز أن يكون النبي على دين منسوخ. وذهبت طائفة إلى أنه كان على دين إبراهيم؛ لأنه من ولده وهو أبو الأنبياء. وذهبت طائفة إلى أنه كان على دين موسى؛ لأنه أقدم الأديان. وذهبت المعتزلة إلى أنه لا بد أن يكون على دين، ولكن عين الدين غير معلومة عندنا. وقد أبطل هذه الأقوال كلها أئمتنا، إذ هي أقوال متعارضة، وليس فيها دلالة قاطعة، وإن كان العقل يجوز ذلك كله. والذي يقطع به أنه عليه السلام لم يكن منسوباً إلى واحد من الأنبياء نسبة تقتضي أن يكون واحداً من أمته ومخاطباً بكل شريعته، بل شريعته مستقلة بنفسها مفتتحة من عند الله الحاكم عز وجل"(٣).

وفي موقف المعتزلة من المصالح ووجوب فعلها على الله تعالى يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ

(١) أنظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 1282)

(٢) أنظر: تفسير القرطبي (3/ 33)

(٣) تفسير القرطبي (16/ 57)

تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢] "وهذا رد على المعتزلة عظيم في التزام المصالح، لكن راوي الحديث عن زيد ابنه عبد الرحمن، وقد ضعفه العلماء. والأمر في قوله تعالى: (ذلك خير لكم وأطهر) نص متواتر في الرد على المعتزلة.[١]

(١) أنظر: تفسير القرطبي (17/ 302)

المطلب الثالث

أدلة وجود الله تعالى عند الأشاعرة وموقف القرطبي منها

أولًا: منهج الأشاعرة في أدلة إثبات توحيد الربوبية

معلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري معلوم بالضرورة، والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق والوحي أجل من الحصر، ففي كل شيء له آية وعليه دليل(١). يعتقد الأشاعرة أن ما يتوقف عليه النقل مثل وجود الله وإثبات النبوة ، فإنه لا يصلح إثباته بدليل النقل لما يلزم من الدور؛ فلا يثبت إلا بالدليل العقلي(٢).

وأما إثبات كونه تعالى واحداً، فيرى كثير من الأشاعرة أن ذلك ممكن بالدليل العقلي والنقلي، فللدليل السمعي مثل: إجماع الأنبياء على الدعوة إلى التوحيد ونفي الشريك، والنصوص القطعية من الكتاب الدالة على ذلك(٣).

أما بالنسبة إلى أدلتهم على وجود الله تعالى، فإن أشهر دليل عند الأشاعرة هو دليل الحدوث، وإن كان يوجد فيهم من سلك مسالك أخرى لإثبات وجود الله، وهذا الدليل ينبني على مقدمتين، وكل واحده من المقدمتين يشترط إقامة أدلة على صحتها حتى تنتج المقدمتان نتيجة صحيحة.

أما المقدمة الأولى فهي: العام حادث، والثانية : كل حادث لا بد له من مُحدِث، والنتيجة بعد إثبات صحة المقدمتين: العالم لا بد له من مُحدث أحدثه، وهو الله سبحانه وتعالى ، فأما إثبات حدوث العالم فيستند إلى إثبات خمسة أمور وهي : إثبات الأعراض وقيامها بالجواهر ، إثبات حدوث الأعراض، إثبات استحالة تخلي الجواهر عن الأعراض ، إثبات امتناع حوادث لا أول لها ، إثبات أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث (٤)؛ ولذلك فإنهم يعتبرون النُّزُول

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ط: السنة السادسة عشرة، العدد: الثاني والستون ربيع الآخر– جمادى الآخرة، 1404هـ–1984م، تفسير القرطبية الإسلامية بالمدينة المنورة– السعودية.(ص: 79).

(٢) انظر: المواقف ، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي ، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل – لبنان – بيروت ص39.

(٣) انظر: المرجع السابق ص40.

(٤) انظر: الإرشاد للجويني ص40.

والصعود والحركة والسكون أدلة حدوث العالم، وهذه طريقتهم في الاستدلال على حدوث العالم، ثم الاستدلال على وجود الله، ويسمّونه: دليل الحدوث والقدم(١).

قال ابن تيمية: "وطائفة تزعم أن حدوث العالم من هذه الأصول، وأن العلم بالصانع لا يمكن إلا بإثبات حدوثه، وإثبات حدوثه لا يمكن إلا بحدوث الأجسام، وحدوثها يُعلم إما بحدوث الصفات، وإما بحدوث الأفعال القائمة بها، فيجعلون نفي أفعال الرب، ونفي صفاته من الأصول التي لا يمكن إثبات النبوة إلا بها.

ثم هؤلاء لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على نقيض قولهم، لظنهم أن العقل عارض السمع – وهو أصله – فيجب تقديمه عليه، والسمع إما أن يؤوَّل، وإما أن يُفوَّض"(٢).
فلُخص صفات هذا القديم عندهم: مخالفته للحوادث وعدم حلولها فيه، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس جوهراً ولا عرضاً ولا جسماً ولا في جهة ولا مكان... الخ. ثم أطالوا جداً في تقرير هذه القضايا هذا، وقد رتبوا عليها من الأصول الفاسدة مالا يدخل تحت العد مثل إنكارهم لكثير من الصفات كالرضى والغضب والاستواء بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم ونفي الجوهرية والعرضية والجهة والجسمية ... إلى آخر المصطلحات البدعية التي جعلوا نفيها أصولاً وأنفقوا الأعمار والمداد في شرحها ونفيها. ولو أنهم قالوا: الكون مخلوق وكل مخلوق لابد له من خالق لكان أيسر وأخص، مع أنه ليس الدليل الوحيد، ولكنهم تعمدوا موافقة الفلاسفة حتى في ألفاظهم.

ويلاحظ أن تعمدهم استخدام كلمة (حادث) سببه أنهم لو قالوا: "مخلوق" لألزمهم الفلاسفة بأن هذا هو موضع النزاع، ولا يستدل بالدعوى على نفسها في نظرهم، مع هذا فالفلاسفة يقولون: الكون قديم ولا نسلم أنه حادث"(٣)، فالأشاعرة كما قال شيخ الإسلام: "لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا"(٤).

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (المتوفى: 668هـ)، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1998م، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية (1/ 40) وانظر: رسالة في أصول الدين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الطبعة: الثالثة، 1400هـ/1980م (ص: 15) لابن تيمية.

(٢) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع (ص: 148).

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة (ص: 79).

(٤) الفتوى الحموية الكبرى، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق:د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الطبعة الثانية 1425هـ / 2004م، الناشر: دار الصميعي – الرياض (ص: 282).

قال أبو منصور الماتريدي: "الأعيان حادثة بشهادة الخبر والحس والعقل ... فأما الخبر فما ثبت عن الله تعالى من وجه يعجز البشر عن دليل مثله لأحد إنه أخبر أنه خالق كل شيء وبديع السموات والأرض وأن له ملك ما فيهن ... وعلم الحس وهو أن كل عين من الأعيان يحس محاط بالضرورة مبنىً بالحاجة والقدم هو شرط الغنى"(١).

ودليل آخر أن العالم لا يخلو من أن يكون قديماً على ما عليه أحواله من اجتماع وتفرق بحركة وسكون وخبيث وطيب وحسن وقبيح وزيادة ونقصان وهن حوادث بالحس والعقل إذ لا يجوز اجتماع الضدين، فثبت التعاقب وفيه الحدث وجميع الحوادث تحت الكون بعد إن لم تكن فكذلك ما لا يخلو عنها ولا يسبقها أو كان إنشاء عن أصل لا بهذه الصفة أو انتقل إليها باعتراضها فيه، فإن كان كذلك ثبت أن هذا العلم حادث، فإذا ثبت حدوث الأجسام، فالأجسام لا تجتمع ولا تفترق بنفسها، ولا هي قادرة على إصلاح ما فسد في حال قوتها وكمالها، وإذا كانت الطبائع المتضادة المتنافرة لا تجتمع بنفسها، فلا بد من قاهر يقهرها على غير طبعها وهو الله(٢).

قال ابن تيمية في بيان مقالة الأشاعرة: " وهم أيضاً عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على وفق قولهم، فالاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها، إما الأكوان، وإما غيرها، وتقرير المقدمات التي يحتاج إليها هذا الدليل من إثبات الأعراض التي هي الصفات أولاً، أو إثبات بعضها، وهو مبني على مقدمتين. إحداهما: أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات. والثانية: أن ما لا يخلو عن الصفات التي هي الأعراض فهو محدث؛ لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة، وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض كالأكوان، وما لا يخلو عن جنس الحوادث، فهو حادث لامتناع حوادث لا تتناهى.

فهذه الطريقة قد اعترف حذاق أهل الكلام كالأشعري وغيره، بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم، بل المحققون على أنها طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقاً، ولهذا تجد من اعتمد

---

(١) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي- الرياض- السعودية، بدون طبعة.(ص: 593).

(٢) انظر: كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن حسن بن سليمان التميمي، الطبعة: الأولى، 1411هـ/1990م، لمحقق: بشير محمد عيون، (ص11-19).

عليها في أصول دينه فأحد الأمرين له لازم: إما أن يطلع على ضعفها، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم، فتتكافأ عنده الأدلة، أو يرجح هذا تارة، وهذا تارة، كما هو حال طوائف منهم.

وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل، كما التزم جهم لأجلها فناء الجنة والنار، والتزم أبو الهذيل لأجلها انقطاع حركات أهل الجنة، والتزم قوم لأجلها أن الماء والهواء والنار له طعم ولون وريح ونحو ذلك، والتزم قوم لأجلها وأجل غيرها أن جميع الأعراض كالطعم واللون وغيرهما لا يجوز بقاؤها بحال؛ لأنهم احتاجوا إلى جواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الاستدلال على حدوث الأجسام بصفاتها، فقالوا: صفات الأجسام أعراض، أي: أنها تعرض"(١).

وقال رحمه الله: " ثمّ كثير منهم قالوا: وما لم يخل من الحوادِث، أو ما لم يسبق الحوادث، فهو حادِث، وظنّ أنّ هذه مقدّمة بديهيّة معلومة بالضرورة لا يُطلب عليها دليل، وكان ذلك بسبب أنّ لفظ الحوادِث يُشعر بأن لها ابتداءً؛ كالحادِث المعيّن، والحوادِث المحدودة. ولو قدّرت ألف ألف ألف حادث، فإنّ الحوادث إذا جُعلت مقدّرة محدودة، فلا بُدّ أن يكون لها ابتداء؛ فإنّ ما لا ابتداء له ليس له حدّ معيّن ابتدأ منه، إذ قد قيل لا ابتداء له، بل هو قديم أزليّ دائم. ومعلومٌ أنّ هذه الحوادِث ما لم يسبقها فهو حادث؛ فإنّه يكون إمّا معها، وإمّا بعدها"(٢).

وقد رد العلماء هذه الاستدلالات وما عليها من إلزامات (٣) وهنا أفادو أجاد ابن تيمية الرد عليهم، وذلك من خلال النقاط التالية:

١. أن طريقتهم المتبعة في إثبات وجود الله تعالى من الطرق المبتدعة التي لم يقل بها أحد من السلف، حيث يقول رحمه الله: " أما لفظ الجسم والجوهر والمتحيز والعرض والمركب ونحوها من الألفاظ الاصطلاحية التي تكلم بها أهل الخصومات من أهل الكم في الاستدلال بمعانيها على حدوث العالم، وإثبات الصانع، والإخبار بها عن

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (1/ 135).

(٢) النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.(1/ 251-252).

(٣) انظر: ، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ، خالد نور، (1/305-306) (مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة – السعودية ، ط1(1، 1416 هـ - 1995 م).

الله نفياً وإثباتاً، فهذا لا يعرف عن أحد من سلف الأمة وأئمتها، الذين جعلهم الله أئمة لأهل السنة والجماعة، في العلم والدين، بل المحفوظ عنهم(١).

ويقول كذلك: " وأما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمي من الباطل، فليس ذلك من أصول الدين، وإن أدخله فيه، مثل المسائل والدلائل الفاسدة، مثل: نفي الصفات، والقدر، ونحو ذلك من المسائل، ومثل الاستدلال علي حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها: إما الأكوان، وإما غيرها"(٢).

٢. إن هذه الطريقة تستلزم لوازم باطلة، حيث يقول: " ولم يكن ذمهم لذلك لمجرد اصطلاح ولا لترجمة معنى بلفظ لم يحتج إلى ترجمة به، بل لاشتمال ذلك على معانٍ باطلة، كما سنذكر ما نذكره عنهم من ذلك، في أثناء هذا الكتاب، حيث تذكر الطريق التي يعتمدها المعتزلة، ومن سلك سبيلهم، في الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأجسام، واستدلوا على ذلك بحدوث الأعراض في بعضها، وبامتناع خلو الأجسام عنها، فإن هذه الطريقة هي أصل الكلام الذي ذمه السلف والأئمة، وتوسعوا في الكلام في ذلك من وجهين:

أحدهما: أنهم جعلوا ذلك أصل الدين، حتى قالوا إنه لا يمكن معرفة الله وتصديق رسوله إلا بهذه الطريق، فصارت هذه الطريق أصل الدين وقاعدة المعرفة، وأساس الإيمان عندهم، لا يحصل إيمان ولا دين، ولا علم بالصانع إلا بها، وصار المحافظة على لوازمها، والذي فيها أهم الأمور عندهم، لكن ليس الغرض هنا ذكر ذلك بل المقصود هو"(٣).

ويقول: "ولما سلك من سلك في الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأجسام، ودخلوا في هذا الكلام ذم السلف الكلام وأهله حتى قال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق وقال الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية(1/ 219).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.(1/ 38).

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (1/ 221).

ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام وقال لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقوله"(١).

٣. إن الأشاعرة يعتمدون على الأدلة العقلية، ولا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة، حيث يقول: "وطائفة تزعم أن حدوث العالم من هذه الأصول وأن العلم بالصانع لا يمكن إلا بإثبات حدوثه وإثبات حدوثه لا يمكن إلا بحدوث الأجسام، وحدوثها يعلم إما بحدوث الصفات، وإما بحدوث الأفعال القائمة بها، فيجعلون نفي أفعال الرب ونفي صفاته من الأصول التي لا يمكن إثبات النبوة إلا بها ثم هؤلاء لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على نقيض قولهم لظنهم أن العقل عارض السمع – وهو أصله – فيجب تقديمه عليه والسمع: إما أن يؤول وإما أن يفوض، وهم أيضاً عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة"(٢).

ثانيًا: أدلة وجود الله عند الإمام القرطبي وموقفه من أدلة الأشاعرة:

إن المتتبع لتفسير القرطبي وأقواله يلاحظ أنه يستخدم ألفاظ المتكلمين عند الحديث عن وجود الله تعالى، فمن ذلك: لفظ: واجب الوجود، حيث يقول: " فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه. وقيل: معناه الذي يستحق أن يعبد. وقيل: معناه واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال، والمعنى واحد."(٣)

ويقول في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آَمَنُوا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٩] "أي صدقوا بواجب الوجود، وبما جاء به الرسول من تفاصيل الآخرة"(٤).

ويقول في موضع آخر من التفسير: " (أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق) الحديث. فقوله: (أنت الحق) أي الواجب الوجود، وأصله من حق الشيء أي ثبت ووجب. وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقة، إذ

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1986 م، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية(2/ 610).

(٢) مجموع الفتاوى (3/ 88).

(٣) تفسير القرطبي (1/ 102).

(٤) تفسير القرطبي (5/ 194).

وجوده لنفسه لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم، وما عداه مما يقال عليه هذا الاسم مسبوق بعدم، ويجوز عليه لحاق العدم، ووجوده من موجده لا من نفسه"(١).

ويلاحظ كذلك من خلال تفسيره أنه متأثر بالأشاعرة في الاستدلال على وجود الله تعالى، فيستدل بدليل الحدوث، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] يقول: "والعرب تقول لمن وقع في أمر شديد: وقع في بنات طبق، وإحدى بنات طبق، ومنه قيل للداهية الشديدة: أم طبق، وإحدى بنات طبق: وأصلها من الحيات، إذ يقال للحية أم طبق لتحويها: والطبق في اللغة: الحال كما وصفنا، قال الأقرع بن حابس التميمي:

إني امرؤ قد حلبت الدهر أشطره ... وساقني طبق منه إلى طبق

وهذا أدل دليل على حدوث العالم، وإثبات الصانع"(٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] يقول: "أو لم ينظروا في ذلك نظر تفكر وتدبر حتى يستدلوا بكونها محلا للحوادث والتغييرات على أنها محدثات، وأن المحدث لا يستغني عن صانع يصنعه، وأن ذلك الصانع حكيم عالم قدير مريد سميع بصير متكلم؛ لأنه لو لم يكن بهذه الصفات لكان الإنسان أكمل منه وذلك محال."(٣)

وقد بدا واضحاً استخدام الإمام القرطبي لدليل الحدوث عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فاطر السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠] حيث يقول: "فليس في الباري شك لقيام الأدلة عليه ولشهادة أفعاله ولاقتضاء المحدث أن يكون له محدث، ولكن قد شك فيه قوم ونفاه آخرون، ولم يوجب ذلك شكا فيه لقيام الأدلة عليه، فكذلك يوم القيامة لا ريب ولا شك فيه مع النظر في الدليل والعلم، فإذا خلق الله تعالى الرين على القلب كان الشك."(٤)

---

(١) تفسير القرطبي (8/ 336).

(٢) تفسير القرطبي (19/ 280).

(٣) تفسير القرطبي (2/ 202).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 577).

وفي معرض آخر يفصل القول في معنى الحادث والقديم، فيقول: "وقد أجمعت الأمة وكل أمة من النصارى واليهود والبراهمة، بل كل ملحد وموحد أن القديم لا يفعل ولا تتعلق به قدرة قادر بوجه ولا بسبب، ولا يجوز العدم على القديم وأن القديم لا يصير محدثاً، والمحدث لا يصير قديماً، وأن القديم ما لا أول لوجوده، وأن المحدث هو ما كان بعد أن لم يكن."(١)

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] يقول: " ولو جاز اختلاط القديم بالمحدث لجاز أن يصير القديم محدثاً، ولو صح هذا في حق عيسى لصح في حق غيره حتى يقال: اللاهوت مخالط لكل محدث. وقال بعض المفسرين في قوله:" كانا يأكلان الطعام" إنه كناية عن الغائط والبول"(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] يستخدم تعبيرات هذا الدليل، حيث يقول: " ذهبت الكفرة- لعنهم الله- إلى أن كل حادث يحدث بنفسه لا من صانع، وادعوا ذلك في الثمار الخارجة من الأشجار، وقد أقروا بحدوثها، وأنكروا محدثها، وأنكروا الأعراض. وقالت فرقة: بحدوث الثمار لأمن صانع، وأثبتوا للأعراض فاعلا، والدليل على أن الحادث لا بد له من محدث أنه يحدث في وقت، ويحدث ما هو من جنسه في وقت آخر، فلو كان حدوثه في وقته لاختصاصه به لوجب أن يحدث في وقته كل ما هو من جنسه، وإذا بطل اختصاصه بوقته صح أن اختصاصه به لأجل مخصص خصصه به، ولولا تخصيصه إياه به لم يكن حدوثه في وقته أولى من حدوثه قبل ذلك أو بعده، واستيفاء هذا في علم الكلام"(٣).

وقد سلك الإمام القرطبي مسلك الأشاعرة والمعتزلة في إثبات اسم القديم، فعند تفسير قوله تعالى﴿ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] يقول: "فإن قيل: فقد قال الله تعالى {كل شيء هالك إلا وجهه} وهو يدل على أن الجنة نفسها تفنى ثم تعاد يوم الجزاء، فلم أنكرتم أن يكونوا الولدان والحور يموتون، ثم يحيون؟ قيل: يحتمل معنى قوله: {كل شيء هالك إلا وجهه} أي ما من شيء إلا وهو قابل للهلاك،

---

(١) تفسير القرطبي (1/ 55).

(٢) تفسير القرطبي (6/ 250).

(٣) تفسير القرطبي (9/ 282).

فيهلك إن أراد الله به ذلك إلا وجهه أي إلا هو سبحانه، فإنه تعالى قديم والقديم لا يمكن أن يفنى وما عداه محدث، والمحدث إنما يبقى قدر ما يبقيه محدثه، فإذا حبس البقاء عنه فني[١].

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 461-462).

الخاتمة

إن مما يجدر الإشارة إليه، ويسره الله لي: التوفيق في اختيار بالموضوع، وإعداده، وبعد البحث، والنظر، والانتهاء من إعداد البحث، توصلتُ فيها إلى نتائج عديدة، من أبرزها:

- خالف الأشاعرة والمعتزلة السلف في كثير من مسائل العقيدة، كالصفات، والإيمان، والقضاء والقدر، عن طريق التحريف والرد والتأويل.
- معيشة وتنقل الإمام القرطبي ما بين الأندلس ومصر كان له الأثر الكبير في تحصيله للعلم الأمر الذي ظهر واضحاً من خلال مؤلفات الإمام القرطبي المتنوعة.
- سلك الإمام القرطبي مسلك السلف في بعض المسائل، ووافق المعتزلة في أخرى، كما سلك مسلك الأشاعرة في مسائل أخرى أيضاً؛ ولذلك تميزت عقيدته بالغموض وعدم الوضوح.
- مما يعد ويحسب للإمام القرطبي التزامه بمعظم عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم.
- بالرغم من شهرة الإمام القرطبي إلا أن أغلب كتب التراجم والأعلام لم تذكر أسماء من تتلمذوا على يديه.
- إن المتتبع لتفسير القرطبي وأقواله يلاحظ أنه يستخدم ألفاظ المتكلمين بكثرة، ويبتعد نوعاً ما عن الألفاظ الشرعية التي يستخدمها السلف في كثير من المسائل.
- أثبت الإمام القرطبي وجود الله تعالى، مستخدماً في ذلك أدلة الأشاعرة، كدليل الحادث والقديم.
- إن موقف الإمام القرطبي من الغيبيات جاء موافقاً للعقيدة الصحيحة فهو يثبتها كما السلف، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: الشفاعة والميزان وخلق الجنة والنار الآن، وأبديتهما وصرع الجن للإنسان ورد على المعتزلة في ذلك.
- السبب الرئيس الذي جعل المعتزلة تأول الصفات هو اعتقادهم أن إثباتها يفضي إلى التشبيه.
- وافق الإمام القرطبي الأشاعرة والمعتزلة في إثبات اسم القديم ، وقد نحى الإمام القرطبي منحى الأشاعرة في باب الصفات الإلهية، من حيث تأويل كثير من الصفات، كما أنه وافق السلف في إثبات بعضها كالغضب والعلم والحياة،.
- خالف الإمام القرطبي المعتزلة في كثير من مسائل القضاء والقدر مثل : مسألة خلق أفعال العباد واقترب فيها من الأشاعرة القائلين بعقيدة الكسب.

التوصيات :

أولًا: العمل على إيجاد مرجعيات موثوقة لدى الناس؛ لمتابعة ما يستجد على العقيدة الإسلامية، وما يغزو المجتمع المسلم من الأفكار الهدامة، ويمكن أن تتبنى تشكيل هذه المرجعيات: مؤسسات، وجمعيات علمية.

ثانيًا: ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة؛ كونهما المصدرين الأساسيين في نهل العقيدة الإسلامية؛ واقتفاء طريق السلف الصالح، وعدم سلوك طرق المتكلمين فيها.

ثالثًا: أن يهتم الباحثون والمتخصصون في العلم الشرعي ببيان تراجم أئمة السلف، وفضائلهم، ودورهم في توضيح العقيدة الإسلامية والدفاع عنها.

رابعًا: العمل على تعزيز العقيدة الإسلامية، وأن تأخذ مكانتها بين المسلمين، وذلك من حيث التعليم، والتفهيم، والبحث العلمي.

خامسًا: أن يهتم الباحثون والمتخصصون ببيان فضل الإمام القرطبي، وتسليط الضوء على المسائل التي وافق فيها السلف، وتوجيه ردوده على المعتزلة، بتوثيق مخالفته الكبيرة لهم.

سادساً: أوصي الباحثين وطلبة العلم الشرعي بوضع كتاب الجامع لأحكام القرآن تحت المجهر العلمي؛ لاستخراج الدرر التفسيرية والأحكام الفقهية.

سابعاً: أوصي المسئولين في مجال التربية والتعليم إدراج بعض النصوص التفسيرية والعقدية في مناهج التعليم الأساسي، لا سيما وقد أكرمنا الله تعالى بدولة فلسطين بالتعليم الشرعي الثانوي.

الفهارس العامة

أولًا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولًا: فهرس الآيات القرآنية.

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ.. ﴾	3	76
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾	4	77
﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ... ﴾	24	83
﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ... ﴾	35	66
﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى... ﴾	38	62
﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا ... ﴾	48	92-83-82
﴿ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ.. ﴾	220	54
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا ... ﴾	254	82
﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ... ﴾	286	62
سورة آل عمران		
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ... ﴾	7	78
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ ... ﴾	106	88
﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾	108	65
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ ... ﴾	133	95-88
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا... ﴾	169	3
﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ ... ﴾	179	73-70
سورة النساء		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلَّا ... ﴾	29	75
:﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِلم.. ﴾	39	105
﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ... ﴾	48	92

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	123	92
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا...﴾	137	56
سورة المائدة		
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا....﴾	64	39
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾	75	107
سورة الأنعام		
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	103	29
﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا ....﴾	50	74-70
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ...﴾	59	73
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾	37	74
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ...﴾	153	97-95
سورة الأعراف		
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	8	93-86-85
﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ ...﴾	185	106
سورة الأنفال		
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ...﴾	17	63
سورة يونس		
﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ ...﴾	19	56
﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ للهِ ....﴾	20	70
﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	44	66
سورة هود		
﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ....﴾	101	67
﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ ...﴾	123	70
سورة يوسف		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ....﴾	87	92
سورة الرعد		
﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ...﴾	4	107
سورة إبراهيم		
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ...﴾	7	ت-17-46
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ....﴾	10	106
سورة الحجر		
﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾	66	50
سورة النحل		
﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ...﴾	93	56
سورة الإسراء		
﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ ...﴾	4	50
﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾	23	50
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ...﴾	45	4
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ...﴾	85	30
سورة الكهف		
﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ ...﴾	26	70
سورة مريم		
﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾	87	93
سورة طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	5	36-43-44 -45
﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ...﴾	39	37-38
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	110	29-42

سورة الأنبياء		
﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	23	52
﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾	100	88
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا .... ﴾	106	54
﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾	107	54
سورة الحج		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ...﴾	5	55
سورة المؤمنون		
﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾	107	87
سورة الشعراء		
﴿ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾	209	66
سورة النمل		
﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ...﴾	88	64
سورة لقمان		
﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ...﴾	34	72-71
سورة السجدة		
﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... ﴾	4	45
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾	7	64
سورة الزمر		
﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ...﴾	7	46-17
سورة غافر		
﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...﴾	7	93
﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ...﴾	18	92

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾	31	65
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا...﴾	46	96
سورة الشورى		
﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ...﴾	11	28–90
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾	13	54
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي...﴾	52	98
سورة فصلت		
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	46	66
سورة الزخرف		
﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾	76	67
سورة الذاريات		
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	21	78
سورة الحديد		
﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ....﴾	22	52
سورة المجادلة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ...﴾	12	98
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾	20	57
سورة التغابن		
﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ...﴾	1	57
سورة المدثر		
﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾	48	82–92–93
سورة التكوير		
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾	29	53

سورة البروج		
﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾	12	34
﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾	13	34
﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾	14	34
﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾	15	34
سورة الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	17	78
سورة الليل		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾	5	52
﴿وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى﴾	6	52

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	الحديث	الراوي	أخرجه	الصفحة
١.	إذا مضى شطر الليل، أو ثلثاه، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا،	أبو هريرة	مسند الصحيح المختصر	45
٢.	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي،	عبداالله بن عمر	الصحيحين	95
٣.	أن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي	عبداالله بن مسعود	التذكرة	97
٤.	إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء	أنس ابن مالك ﷺ	سنن الترمذي	17
٥.	إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول	أبو هريرة	رَوَاهُ النَّسَائِيّ	46
٦.	إن الله ليس بأعور		مسلم	97
٧.	حتى ينتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى	أبو هريرة	رواه الإمام أحمد	44
٨.	خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم	عائشة رضي الله عنها	مسلم	95
٩.	دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة	عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة	مسلم	74
١٠.	قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى	صفوان بن محرز	مسلم	86
١١.	قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه	عكرمه	البخاري	75
١٢.	القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم	ابن عمر	الإبانة الكبرى لابن بطة	53
١٣.	كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا	أبو هريرة	البخاري	52

م	الحديث	الراوي	أخرجه	الصفحة
	يوما للناس			
.١٤	كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة	عبدالرحمن السلمي	البخاري	52
.١٥	كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن	أبو هريرة	البخاري	85
.١٦	كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل	أبو موسى الأشعري	البخاري	75
.١٧	لساقي عبدالله بن مسعود في الميزان أثقل من أحد	عاصم	كشف الأستار	85
.١٨	لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي	أبو هريرة	مسلم	84
.١٩	مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	ابن عمر	البخاري	74
.٢٠	وقع في نفسي شيء من القدر فأتيت أبي بن كعب	ابن الديملي	السنن الكبرى	68
.٢١	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا،	أبو ذر	البخاري	67
.٢٢	يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار	أبو هريرة	مسند الإمام أحمد	40

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم.

م	الاسم	الصفحة
6	ابن رواج	9
13	ابن عطية	14
4	ابن قطرال	8
22	أبو الحسين عبدالرحيم	22
5	أبو العباس القرطبي	9
14	أبو بكر العربي	14
12	أبو جعفر النحاس	13
17	أبو حيان الأندلسي	15
23	أبو طالب المكي	26
2	أبي حجه	4
8	أحمد القرافي	10
19	الأسفراييني	15
7	الجميزي	9
18	الجويني	15
16	الحافظ ابن كثير	14
9	الحسن البكري	9
3	ربيع الأشعري	8
24	سفيان ابن عثمان	26
15	الشوكاني	14
10	الطبري	13
25	عبد الجبار الهمذاني	36
26	عدي بن عازب	44
28	غيلان الدمشقي	58
1	القرطبي	3
11	الماوردي	13
20	محمد السفاريني	16

28	محمد الطيب	59
21	مرعي الكرمي	16
27	معبد الجهني	58

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولًا: الكتب:

١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ) تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الطبعة : الثانية ، 1384هـ - 1964 م دار الكتب المصرية – القاهرة.

٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط(1)1406هـ-1986م، دار ابن كثير- دمشق، بيروت.

٣) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت – لبنان، عام النشر:1420هـ-2000م، بدون طبعة.

٤) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي ، ط 1951م، بعناية وكالة المعارف الجليلة - استانبول - تركيا، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة ، الناشر: مكتبة المثنى- بغداد- العراق، تاريخ النشر: 1941م.

٦) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، تحقيق: عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة- بيروت- لبنان ، سنة النشر: 1415هـ- 1995م.

٧) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، ط(3)1405هـ-1985م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

٨) طبقات المفسرين العشرين ، للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر ، ط(1)1396م، مكتبة وهبة- القاهرة- مصر.

٩) الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 139 6هـ) (ط)الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م دار العلم للملايين.

١٠) طبقات المفسرين للداوودي ، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي المتوفى: 945هـ، دار الكتب العلمية – بيروت راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

١١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية- السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، بدون طبعة.

١٢) تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي المتوفى: 403هـ (الطبعة الثانية) عنى بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)- الناشر: دار التراث القاهرة.

١٤) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد بن عبد الرحمن الغراوي، ط(1)1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة- دار القرآن- بيروت- لبنان.

١٥) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط(2)1413هـ-1993م، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

١٦) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات ، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (المتوفى: 1033هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٧) معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ)، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٨) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ) الطبعة الثانية - 1402 هـ - 1982 م ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق.

١٩) لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السُّنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية: للسفاريني، تحقيق: د. عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد، ط الأولى.

٢٠) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ط 2، 1395 هـ - 1975شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٢١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم ، الطبعة: الأولى، 1425 هـ ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، ط(4)1420هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع– الرياض– السعودية.

٢٣) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي، ط(4)1422هـ–2001م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق– جدة– السعودية.

٢٤) الإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط11432هـ–200م، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة– السعودية.

٢٥) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، ط(2)1977م، دار الآفاق الجديدة – بيروت– لبنان.

٢٦) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٢٧) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ، مصطفى محمد حلمي، الطبعة: الأولى – 1426 هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨) الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها، صالح زين العابدين الشيبي، رسالة ماجستير بإشراف: أ.د/ عوض الله جاد أحمد حجازي، 1397هـ–

1977م، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة– السعودية.

٢٩) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، أبو الحسين عبد الرحيم الخياط، مقدمة وتحقيق وتعليقات: د/ نيبرح، ط(2) بيروت 1413هـ–1993م، مكتبة الدار العربية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة– مصر، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– لبنان.

٣٠) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣١) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي– القاهرة– مصر، بدون طبعة.

٣٢) العرش، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق، محمد بن خليفة بن علي التميمي ، الطبعة: الثانية، 1424هـ/2003م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٣٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس الطبعة: 1، 1971، دار صادر – بيروت.

٣٤) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، تحقيق د: مهدي المخزومي، د: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال مصر.

٣٥) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط(5)1420هـ–1999م، المكتبة العصرية– الدار النموذجية– بيروت –لبنان.

٣٦) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، ط1، الناشر: مطبعة فضالة– المحمدية– المغرب.

٣٧) مالك حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة ، ص 193، ط(2)، دار الفكر العربي- بيروت – لبنان.

٣٨) فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

٣٩) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، محمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة: الأولى 1419هـ/1999م، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٠) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤١) أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ) تحقيق: باسم فيصل الجوابرة ، الطبعة: الخامسة، 1420هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

٤٢) أصول الإيمان، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، الطبعة: السنة الحادية عشرة - العدد الثالث - ربيع الأول 1399هـ/1979م، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٤٣) قول الفلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية، سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة: العدد 120 - السنة 35 - 1423هـ/2003م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٤٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الطبعة: الرابعة 1420هـ - 1999م، دار ابن الجوزي.

٤٥) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، ط(1)1424هـ-2003م، دار الفضيلة- الرياض- السعودية.

٤٦) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الطبعة:الأولى، 1426هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٤٧) الفتوى الحموية الكبرى ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري الطبعة: الطبعة الثانية 1425هـ / 2004م، دار الصميعي – الرياض.

٤٨) درء تعارض العقل والنقل ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

٤٩) فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي تقديم وتعليق: علي بن مصطفى مخلوف ، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

٥٠) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي ، الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408هـ.

٥١) الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها ، محمد بن خليفة بن علي التميمي ، الطبعة: الأولى1422هـ/2002م، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين
الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2001م، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٥٣) نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين ، أحمد بن حجر بن محمد بن حجر بن أحمد بن حجر بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي البنعلي ، الطبعة: 1400 هـ - 1980 م، الناشر: مكتبة ابن تيمية – الكويت.

٥٤) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، خالد بن عبد الله بن محمد المصلح الطبعة:الأولى، 1421هـ، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

٥٥) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د/ فوقية حسين محمود، ط(1)1397هـ، دار الأنصار – القاهرة – مصر.

٥٦) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "صحيح البخاري"، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

٥٧) شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية ، محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: 1395هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر.

٥٨) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط(3)1423هـ- 2002م، مؤسسة الرسالة- بيروت – لبنان.

٥٩) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط(1)1410هـ-1990م، دار ابن القيم- الدمام- السعودية.

٦٠) غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي تحقيق، حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

٦١) الاقتصاد في الاعتقاد ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ،وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٦٢) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض.

٦٣) تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الطبعة: الطبعة الأولى، 1326هـ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

٦٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، عام النشر: 1387 هـ ،الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.

٦٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
٦٦) مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري الطبعة: الثالثة - 1420 هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦٧) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ط(1)1416هـ-1995م، دار الصميعي للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.
٦٨) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط(5)1420هـ-1999م، المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت – صيدا- لبنان.
٦٩) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / وآخرين، الناشر: دار الدعوة.
٧٠) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر
٧١) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، ط:1420هـ-1421هـ، بدون ناشر.
٧٢) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط(1)1422هـ، دار طوق النجاة- جدة- السعودية.
٧٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي الطبعة: الأولى، 1421هـ.
٧٤) الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق رضا معطي وآخرين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
٧٥) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الطبعة: الأولى، 1415 هـ / 1995 م، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.
٧٦) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الطبعة: الثانية 1424هـ، الناشر: مكتبة الرشد.

٧٧) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الطبعة: 1398هـ/1978م، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٧٨) شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (وطبع الكتاب باسم: شرح رسالة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب)صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

٧٩) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية.

٨٠) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي، ط(4)1422هـ–2001م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق– جدة– السعودية.

٨١) المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي ، تحقيق: خليل الميس، الطبعة: الأولى، 1403هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٢) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) ، أبو سليمان عبد الله النجدي ، الطبعة: الأولى بمصر، 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ، الناشر: دار العاصمة، الرياض.

٨٣) التوحيد للماتريدي الطبعة الأولى 1380 هـ – 1960 م، نشر: دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب".

٨٤) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيسا، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم ، الطبعة: الثانية، 1410 هـ/1990م، الناشر: دار العصمة.

٨٥) المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار

٨٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار

٨٧) لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ط(3)1414هـ، دار صادر – بيروت– لبنان.

٨٨) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٨٩) تخريج العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثانية، 1414 هـ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٩٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية.

٩١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية– السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، بدون طبعة.

٩٢) أشراط الساعة، عبد الله بن سليمان الغفيلي ، الطبعة: الأولى، 1422هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

٩٣) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد الفيروز آبادى تحقيق ونشر: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ – 2005م، بيروت – لبنان.

٩٤) تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

٩٥) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان.

٩٦) حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.

٩٧) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ) الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة.

٩٨) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الدوسري، الطبعة: الأولى، 1402 هـ – 1982م، الناشر: مكتبة دار الأرقم، الكويت.

٩٩) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، دكتوراة بإشراف الأستاذ : محمد قطب ، 1405 هـ – 1406 هـ، الطبعة : الأولى، 1420 هـ / 1999 م، الناشر : دار الكلمة.

١٠٠) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة، عبد العزيز بن فيصل الراجحي الطبعة: الأولى، 1424 هـ، الناشر: مطابع الحميضي – الرياض.

101) مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، الطبعة: الاولى، الناشر: درا بن خزيمة.

102) الوحي والإنسان – قراءة معرفية، محمد السيد الجليند، الناشر: دار قباء للطباعة والتشر والتوزيع (القاهرة).
103) مختصر القواعد السلفية في الصفات الربانية، محمود بن عبد الرضواني، الطبعة: الثالثة، الناشر: مكتبة سلسبيل، القاهرة.
104) شرح الرسالة التدمرية ، محمد بن عبد الرحمن الخميس ، ط: 1425هـ-2004م، دار أطلس الخضراء- الرياض- السعودية.
105) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.
106) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
107) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
108) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط(1)1424هـ-2003م، غراس للنشر والتوزيع- الكويت.
109) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى: 1430هـ)، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع.
110) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الطبعة: الرابعة 1420هـ - 1999م، الناشر: دار ابن الجوزي.
111) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د/ عبد الكريم عثمان، ط(3)1416هـ- 1996م، مكتبة وهبة- مصر.
112) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د/ فوقية حسين محمود، ط(1)1397هـ، دار الأنصار – القاهرة – مصر.
113) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، ط: 1413هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

114) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، ط(1)1415هـ- 1995م، مكتبة الرشد - الرياض- السعودية.

115) شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، لابن عثيمين، ط(1)1426هـ، دار الوطن للنشر- الرياض- السعودية.

116) منهج الأشاعرة في العقيدة سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ط: السنة السادسة عشرة، العدد: الثاني والستون ربيع الآخر- جمادى الآخرة، 1404هـ-1984م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

117) المواقف، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي ، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - لبنان - بيروت.

118) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (المتوفى: 668هـ)، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1998م، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

119) رسالة في أصول الدين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الطبعة: الثالثة، 1400هـ/1980م

120) الفتوى الحموية الكبرى، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق:د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الطبعة الثانية 1425هـ / 2004م، الناشر: دار الصميعي - الرياض

121) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي- الرياض- السعودية.

122) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، الطبعة: الأولى، 1411هـ/1990م، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية

123) النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

124) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ، خالد نور، ط1 مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة – السعودية.

125) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي .، الطبعة: الأولى، 1426هـ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

126) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

فهرس الموضوعات

الإهداء.. أ

شكر وتقدير.. ت

مقدمة... ت

الفصل الأول: التعريف بالإمام القرطبي والمعتزلة........................... 1

المبحث الأول.. 2

التعريف بالإمام القرطبي... 2

المبحث الأول.. 3

التعريف بالإمام القرطبي... 3

المطلب الأول.. 3

الإمام القرطبي اسمه، وكنيته، ونسبه، ولقبه.................................... 3

المطلب الثاني.. 6

وفاته ومؤلفاته وشيوخه وتلاميذه... 6

أولاً: وفاته.. 6

ثانياً : مؤلفاته... 6

ثالثاً : شيوخه.. 8

رابعاً : تلاميذه... 10

المطلب الثالث.. 11

رحلاته في طلب العلم وأقوال العلماء فيه...................................... 11

أولاً : رحلات الإمام القرطبي في طلب العلم.................................... 11

ثانياً : أقوال العلماء في الإمام القرطبي رحمه الله............................... 12

ثالثا : تأثر القرطبي بمن قبله وبعده.. 13

المطلب الرابع.. 15

عقيدة الإمام القرطبي ومنهجه.. 15

المبحث الثاني.. 19

نشأة المعتزلة وأصولهم الخمسة.. 19

المطلب الأول.. 19

نشأة المعتزلة... 19

المطلب الثاني.. 22

الأصول الخمسة عند المعتزلة.. 22

الفصل الثاني 24
محاور الاختلاف بين المعتزلة وأهل السنة........................ 24
من خلال كتب القرطبي 24
المبحث الأول.. 26
الصفات الإلهية 26
المطلب الأول.. 26
عقيدة أهل السنة والمعتزلة من الصفات الإلهية 26
أولًا: عقيدة أهل السنة من الصفات الإلهية وموقف القرطبي منها........................ 26
موقف الإمام القرطبي من الصفات الإلهية:........................ 31
ثانيًا: عقيدة المعتزلة في الصفات الإلهية إجمالاً........................ 32
المطلب الثاني.. 36
نماذج من تأويلات المعتزلة لآيات الصفات وموقف القرطبي منها 36
أولًا: الصفات الذاتية : الوجه، العين، اليد، العلم، الحياة. 36
ثانيًا: الصفات الفعلية: الاستواء ، النزول، الرضا، الكره ، الغضب. 43
المبحث الثاني.. 50
القضاء والقدر.. 50
المطلب الأول.. 50
عقيدة أهل السنة والمعتزلة من القضاء والقدر وموقف القرطبي منها 50
أولًا: عقيدة أهل السنة(السلف) من القضاء والقدر: 50
موقف القرطبي من عقيدة القضاء والقدر ورده على القدرية 56
ثانيًا: عقيدة المعتزلة من القضاء والقدر 58
المطلب الثاني.. 61
نماذج من أراء المعتزلة في القضاء والقدر وموقف القرطبي منها. 61
أولًا: خلق أفعال العباد........................ 61
موقف القرطبي من خلق أفعال العباد: 62
ثانيًا: الظلم عند المعتزلة. 63
ثالثاً: موقف القرطبي من الظلم: 66
المبحث الثالث 69
الغيبيات 70
المطلب الأول.. 70
عقيدة السلف والمعتزلة من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها 70
أولًا: عقيدة السلف من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها. 70
موقف الإمام القرطبي من القضايا الغيبية: 80
ثانياً: عقيدة المعتزلة من القضايا الغيبية وموقف القرطبي منها........................ 89
المطلب الثاني.. 92

تأويل المعتزلة للآيات المقررة للقضايا الغيبية من خلال تفسير القرطبي........................92
المطلب الثالث 100
أدلة وجود الله تعالى عند الأشاعرة وموقف القرطبي منها 100
أولًا: منهج الأشاعرة في أدلة إثبات توحيد الربوبية 100
ثانيًا: أدلة وجود الله عند الإمام القرطبي وموقفه من أدلة الأشاعرة:.. ...105
الخاتمة 109
النتائج والتوصيات..خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
الفهارس العامة.. 111
أولًا: فهرس الآيات القرآنية.. 112
ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية والآثار.. 118
ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم... 120
فهرس المصادر والمراجع.. 122
فهرس الموضوعات.. 135
ملخص الرسالة...138

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة العقدية منهج الإمام القرطبي في الرد على المعتزلة، حيث أكثر الإمام القرطبي في الرد على المعتزلة في سائر كتبه وخصوصاً كتابه التفسير الجامع لأحكام القرآن وقد تضاربت الأقوال في بيان عقيدة الإمام القرطبي، وانبرت كل فرقة من الفرق الإسلامية تجادل عن نفسها، وتدعي نسبة الإمام القرطبي إليها.

وهذه الدراسة وضحت عقيدة الإمام القرطبي من خلال تفسيره وأقواله، فقد بدا الإمام القرطبي متأرجحًا في بعض المسائل العقدية بين السلف وغيرهم؛ ولذلك اتصف موقفه بالغموض وعدم الوضوح.

ومن خلال هذه الدراسة يتضح أن الإمام القرطبي وافق السلف في بعض المسائل، وخالفهم في أخرى، كما هو الحال في موقفه من الأشاعرة، مع مخالفته البينة والكبيرة للمعتزلة.

وقد تناولت الدراسة مجموعة من المسائل العقدية، مع بيان موقف الإمام القرطبي منها، كمسائل الصفات الإلهية، والقضاء والقدر، واثبات وجود الله تعالى، وجمع من المسائل الغيبية، كالميزان، والجنة والنار، وفتنة القبر، والصراط، والشفاعة.

والدراسة بهذه المنهجية تحاول إبراز عقيدة السلف وريادتها على سائر الفرق، حيث كان الحكم على عقيدة الإمام القرطبي الأمر الذي لا يقلل من قدر علمه وشموله.